معجزةُ القراءة

تحليل نهضوي

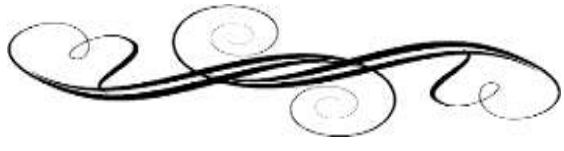

الكاتب

محمود مصطفى الأحول

وقدَّم له: أ.د/ عيد عبد الغني الديب صبيح

أستاذ المناهج وطرق التدريس بجامعتي جنوب الوادي والملك عبد العزيز

الطبعة الأولى ٢٠٢٤

ديـوان العـرب للنشـر والتـوزيع

عنـوان الكتاب: معجزةُ القراءة – تحليل نهضوي

اسم المؤلف: محمود مصطفى الأحول

رقم الإيـــــداع: 4023 / 2024

الترقيـم الدولي: 978 – 977 - 998 - 879 - 5

التدقيـق اللغوي: أشرف عبد الحكم الأنصاري

تـصـميـم الغلاف: شيمـــاء منـــيـر

التنسيق الداخلي: محمد وجـيـــه

رقـــــم الطـبـعـة: الطبعة الأولـى

المديـــــر العام: د. فادية محمد هندومة

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر – بورسعيد

تليفون: 00201211132879 – 00201030502390

بريد الدار: mohamedhamdy217217@gmail.com

معجزةُ القراءة

تحليل نهضوي

الكاتب

محمود مصطفى الأحول

وقدَّم له: أ.د/ عيد عبد الغني الديب صبيح

أستاذ المناهج وطرق التدريس بجامعتي جنوب الوادي والملك عبد العزيز

ديوان العرب للنشر والتوزيع

إهداء

أُهدي هذا الكتاب بعامةٍ،

إلى كلِّ إنسانٍ اشتبك مع عوالم {اقرأ}؛

ليصنعَ رحيقاً من حضارة،..

وإلى ولدَيَّ وقرَّة عينَيّ،

عبد الله وملكوت

محمود مصطفى الأحول

****

بسم اللّه الرحمن الرحيم

((يُقالُ لصاحبِ القرآن: اقرأْ وارقَ ورتِّل كما كنت تُرتِّل في الدُّنيا، فإنَّ منزلتك عند آخر آيةٍ تقرأها)).

سيد العالمين محمَّدٌ بن عبد الله صلى اللهُ عليهِ وسلَّم

(مسند أحمد عن عبد الله بن عمرو).

(لا يمكنك عبور البحر، بمجرد الوقوف والتَّحديق في الماء)

طاغور

(للقراءة بُعدٌ غفلَ عنه الكثيرون، ألا وهو بُعدُ التَّسبيح، الذي لا يعرفهُ إلا من عملَ شُكراً)

محمود مصطفى الأحول

مُقدمة بقلم الـ أ.د/ عيد عبد الغني الديب صبيح

الحمدُ لله الذي أمرَ نبيَّهُ صلى اللهُ عليه وآلِه وصحبِه وسلَّم - في أوَّل ما أنزل من القرآنِ الكريم – بالقراءة، وإنْ كانَ الأمرُ لسيدنا رسولِ الله صلى الله عليه وسلَّم إلا أنَّهُ يشملُ جميعَ الأمَّةِ الإسلامية.

وما تأخَّرت الأُمَّةُ الإسلامية في هذا الزمان إلا لتأخرهم عن مُتطلَّباتِ تنفيذِ أوامرِ ربِّهم الحكيم والعالِم بما يصلح العباد والبلاد، وأوَّل هذه الأوامر التي فرَّطت فيها الأُمَّة الأمر بـ (اقرأْ).

والقراءةُ بصفةٍ عامَّة هي أداةُ الاستزادة، وأداةُ العقل وزادُ الرُّوح ومن لا يُحيي عقلَهُ وفكرَهُ بالقراءةِ يستحقُّ الرَّثاء، كما أنَّ القراءةَ توسِّعُ دائرةَ الخبرة وتنمي جوانبَ الفكرِ المُتعدِّدة وتُهذِّب الأذواق وسبيل الاطلاع على ما يحدث من أزمنة وأمكنة بعيدة، كما تُعمِّق فهم الطلَّاب للحضارات الأُخرى، واحترام طرق معيشةِ غيرهم من النَّاس، وطرائق تفكيرهم، وتساعدهم على تحقيق التفاهم المتبادل بشكلٍ مُيسَّرٍ ومستمر.

وتتيح القراءةُ الإلمام بكثيرٍ من الخبراتِ والمعلومات عن الماضي والحاضر والمُستقبل، وتسهم في بناء شخصية الفرد بشكلٍ مُتكامل وتساعده على حلِّ مُشكلاته بطرقٍ إبداعية.

وقديماً قالَ الإمامُ أبو حنيفة رضي اللهُ عنه (صاحب المذهب الفقهي المشهور): منْ قرأ التاريخ زادَ عقله.

والكتابُ المُفيدُ خيرُ صاحبٍ يبغيكَ الصوابَ، كما قال أحمد شوقي:

صالحُ الإخوانِ يبغيكَ التُّقى ... ورشيدُ الكُتْبِ يبغيكَ الصوابا

ولا يُمكنُ أنْ تتحقَّق نهضة الأمم إلا بالقراءة، والكتابُ الذي بين أيدينا هو خُطوة في سبيل نهضة الأُمَّة من خلالِ الحث على القراءة من مُنطلق (اقرأ).

وفصولُ الكتاب تنم عن تمكُّنٍ في الطَّرح وقدرةٍ في العرضِ وإتقانٍ في النَّظم، كما تضمَّنَ الكتاب نموذجاً تطبيقياً للقراءةِ ببُعديها: (الكِتاب والتَّسبيح)، وقدَّمَ مُجاولة مُتزنة للرَّبطِ بين القراءةِ وكلٍّ من: الذكاء والسرعة والحرية والتواضع واللغة والرواية والأطفال.

ومن فصولِ الكِتاب التي تُضيفُ إلى المكتبة العربية جديداً فصل (مُعجزة القراءة) وبه عُنون الكِتاب.

ويمكنني القول إنني طالعتُ باعتزاز هذا الإنتاج الفكري المُتميّز للأستاذ/ محمود مصطفى حسن محمد الأحول، وهي مُحاولة تؤكد قُدرة الإبداع في تناول الموضوعات ذات الصلة بالقراءة.

وأسألُ الله العليّ القدير أنْ يجعلهُ في ميزانِ حسناتِه ووالدِيه، وأنْ ينفع به النَّاس.

17 ذو الحجة 1444هـ، 5 يوليو 2023م

أ.د: عيد عبد الغني الديب صبيح

أستاذ المناهج وطرق التدريس

(بجامعتي جنوب الوادي والملك عبد العزيز)

مقدمة المؤلف

كثيرٌ من النَّاس يعشقون القراءة، ويتعلقون بالكتاب تعلق المحب بحبيبه الذي لا يطيق له فراقاً؛ يستقبلُ ما تحمله سطوره استقبال الأرض العطشى لقطر السماء، سواء كان هذا الكتاب بين دفتي غلاف يضم أوراقه المُتزاوج بينها كلما حرَّكت يده صفحةً من صفحاته يصعدُ ويهبط بينَ فواصل تنقلاته طالباً السرَّ الخطير، تحدوه الفقراتُ إلى فقرة النهاية التي تجمعهُ بالمرسى الأخير حداء حادي الطريق، أو كان منشوراً عبر الوسائل الإلكترونية، لاسيما في عصرنا الرقمي هذا الذي يفرض تحديّا أمام الكتب الورقية ومتاجرها.

إنَّ الإنسان ولوعٌ بالمعرفة، شغوفٌ بها شغفاً لا ينتهي، وهو كذلك منذُ وُجدَ وإلى أنْ يفنى وينقضي.

وإنَّ حاجته للمعرفة لتكبر معه ويكبر معها معَ امتدادِ الزَّمن.

ونحنُ في زمنِ المعلومات عابرة القارات فيما لا يُصدَّق منَ اللحظات، بل هي حتى معلومات تقتحمُ الفضاء في عصرٍ يُمسكُ المُتقدِّمُ فيه بمحابسِ إطلاق الكثير أو القليل منها عن المُتخلِّفِ عنهُ وفقَ ما تُقدِّره مصالح إبقاء القوَّة في حوزته قدرَ طاقته.

ورغم انتشار شبكات الاتصال المرئية والمسموعة وأجهزة آخذة في الصِّغر مع كبر إمكانياتها من مُليزرات ومصغرات وغيرها إلا أنَّ الكتابَ المطبوع يظلُّ كما يقول الــ د. محمد فتحي عبد الهادي في كتابه/ (المعلومات وتكنولوجيا المعلومات على أعتابِ قرنٍ جديد): (.. مرتبطاً بعادة القراءة والاطلاع للمتعةِ الشخصية واكتساب المعلومات؛ متميزاً

بسهولة الحمل وحرية التجول بين صفحاته، والتنقل به من مكانٍ إلى آخر بسهولة).

يقول الـ د. محمد فتحي: (إنَّ دراسة حديثة في بريطانيا عن عادة القراءة أجرتها مجموعة ووترستون للمكتبات العامة والنشر، مثَّلت 50 ألف شاب كشفت أنَّ 75% من الشباب البريطانيين يُفضلون الكتب عن استخدام شبكة الإنترنت في القراءة).

ولو نظرنا حولنا الآن لوجدنا أنَّ المعلومات أصبحت أساسَ أخذِ مواقع السيطرة والصَّدارة في المجتمع المُعاصر لا رأس المال ولا الأرض كما كان في السَّابق.

يقول الـ د. محمد فتحي: " لم تعد الأرض هي قوام المجتمع، كما كانَ عليه الحال في المجتمع الزراعي، ولم يعد رأس المال هو قوامُ المجتمع كما كان عليه الحال في المجتمع الصناعي، وإنما أصبحت المعلومات هي قوامُ المجتمع المُعاصر ".

لم أقصد بالتبيان السَّابق انصباب تسليط الأضواء على الكُتب، وتهميش غيرها، وإنما توضيح هيمنة الكتاب على الأذهان – غالباً - مَتى طرقت كلمة (القراءة) الآذان، وما يتعلَّق بذلك من افتراض غزارة ما لدى مالكها والمفتشين فيها منْ معلومات، وقد علمنا مما سبق جانباً من جوانب ارتباط القراءة بتقدُّم الأمم، وتحصيل المعلومات وبناء المعرفة.

ولكن ونحن في الألفية الثالثة، ومع التوسع العالمي في الرقمنة، أصبحت الكتب الإلكترونية أكثر تداولاً، كما نشرت مجلة (الصين اليوم) تقريراً لموقع جينغدونغ بعنوان/ "مراقبة استهلاك الكتب على الإنترنت لعام 2023م" مفاده: (أنَّ القرَّاء الصينيين يعتقدون أنَّ الكتب الإلكترونية

والكتب الصوتية أكثر مُلائمة، وأنها ذات معدلات قراءة واستخدام أعلى).

ولكن تعود المجلة في نهاية مقالها الذي يحمل عنوان/ (ثورة القراءة) بهذه الخاتمة: (لكن تظل المكتبات خارج الإنترنت لا غنى عنها، قال ليو يي فان: "لا يُريد القرَّاء التمتّع بالخدمات السريعة، والعالية الجودة على الإنترنت فحسب، وإنما يريدون التمتع بالتجربة الغامرة خارج الإنترنت").

ولكن ما هي القراءة؟

وهل هي مجرَّد كلمات دخلت عالمَ الإدراك والوعي؟ أم أنَّ معناها أوسعُ منْ ذلك؟

هل في الإمكان أنْ نُحدِّد لها مفهوماً دقيقاً يجعلها قريبةً منْ أفهامنا أكثر؟

كمْ وجدنا في هذه الحياة منْ يعرف أكثر رغم قلة الكتب التي طالعها قياساً بغيره! بل كمْ منْ أُمِّيٍّ لا يُجيد استنطاق المكتوبَ أو كتابة المنطوق لننعته بالقارئ حسب المعنى السَّابق! ولكنَّه – رغم هذا – كان الأعلم والأوفر نصيباً منَ الحكمة، وإنَّ هذا ليذكرنا بقول الـ د. مصطفى محمود في كتابه (رحلتي من الشك إلى الإيمان): " ذرَّةٌ منَ الإخلاص أفضل من قناطير من الكتب".

حقَّاً فكم ممَّن حملوا هذه القناطير وحصَّلوا المعلومات وقدَّموا النظريَّات والمخترعات فما حسَّنَ ذلك شيئاً في الارتقاء بخيرِيَّتهم أمام شره نفوسهم في التملُّك والسيطرة وإن كانَ على حساب الضَّعيف والفقير والضَّمير وكلِّ خُلقٍ نبيل، فدمَّروا بقنابلهم الشيطانية الأخضر واليابس، وزيَّفوا بأفكارهم المريضة كلَّ سطرٍ حكيم، وهاجموا كلَّ قولٍ سليم.

ويبدو أنَّ القراءةَ أوسع في معناها منْ فكِّ رموزِ الحروف والكلمات والجمل والفقرات المتتابعة في رسالةٍ أو كتابٍ أو مقالٍ أو بيان، سواء كانَ النشرُ مطبعياً أو إلكترونيَّاً كائناً ما كان.

ما هي القراءة؟

هل من الممكن أن نقدِّم لها تعريفاً أعمق مما نعرف؟

هل من الممكن أن نصوغَ لها مفهوماً عصرياً أو مفهوماً يساعدنا أكثر على الاهتداء إلى سفينتنا التي تاهت عنا أو تهنا عنها فنحيي حضارتنا منْ جديد؟

ولو قدمنا هذا المفهوم الأعمق، فهل ساعتئذٍ سنتحدَّث عن أهميتها بشكلٍ مُختلف؟

وهل ستكون ثمَّةَ كيفيات جديدة تعطينا إجابات جديدة للسؤال المُعاد: (كيفَ نقرأ)!؟

وماذا عن تطوير مهاراتنا القرائية وفقَ المفهوم الجديد الذي نطرحه؟

ماذا؟ وكيف؟

وكيف أُخرى، بعد كيفٍ وكيف؟

أشياء كثيرة نكشفُ عنها في بحثنا، وبرؤيةٍ منْ زوايا أشمل قدرَ ما أعطانا الله منْ توفيق ووهبَ منْ فتح

عزيزي القارئ .....

أرجو لكَ رحلةً ممتعة.

محمود مصطفى حسن محمد الأحول

منهج الكتاب

اتَّبعتُ في كتابي هذا منهج التَّأصيل اللُّغويّ والتراثي لمفهوم القراءة، وقد طرحتُ مفهوماً جديداً يجمعُ للتعريف القديم بُعداً آخر، ظننتُ أننا عنه غافلون، وجعلته في التناول أولاً، ثمَّ تحَدَّثتُ عن تحقيق البُعدين اللذين طرحتُ في القرآن الكريم، مع تناول كلمة (اقرأ) منْ منظورٍ جديد، وثنيّتُ بالحديث عن البعد القديم وجعلته ثانياً في التناول، حيثُ تكلمتُ عن لغة الكتاب، الذي قصدتُ به الكتبَ بعامةٍ، وعرضت بعد ذلك نموذجاً تطبيقياً للقراءةِ بالمفهومِ الجديد.

واستكمالاً للفائدة فقد تحدَّثتُ في فصولٍ تتراوح بين الطول والقِصَر عن علاقة القراءة بالذكاء والسرعة والحرية والتواضع واللغة والرواية، ثمَّ تحدَّثتُ عن علاقة القراءة بالأطفال.

وأخيراً عن المعجزة الثانية بعد معجزة القرآن المُتَمثِّلة في الجيل المسلم منَ الرعيل الأول الذي كانَ قراءةً تمشي على الأرض، وذلك في فصل (مُعجزة القراءة).

وحرصاً على نفع القُرَّاء قدَّمتُ لهم بعضاً منَ الكتب التي قرأتُ مُرفقةً بتلخيصٍ شديد الإيجاز لها؛ ليسير القارئ على منوالها في تدوين خلاصة ما يقرأُ من الكتب.

وفي النهاية قدَّمتُ ترشيحات لعددٍ كبير من الكتب في شتَّى المجالات، وبالله التَّوفيق، وعليه يتوكل المتوكلون.

تمهيد

أحببت أن أبدأَ بحثي بتأصيل كلمة (القراءة) في اللغة والتراث بشكلٍ مُختصر يؤدي الغرض من كشفِ مدلولها بما يُساهمُ في تقديم تعريفٍ اصطلاحي يُميّزُ الإجراءَ دونَ أنْ يقطعَ الصِّلةَ باللسان وفي نفسِ الوقت يُفردها عنْ غيرها منَ المُصطلحات.

فإذا أردنا أنْ نعَرِّف (التاريخ) مستعينين بأبسط المعاجم وموسوعة "ويكيبيديا" - بتصرُّفٍ في العرض - فهو في اللغة: ما دلَّ على الوقت أو البحث في الوقائع والحوادث الماضية، وهو الماضي الموصوفُ كتابةً، أمَّا ما حدثَ قبل السجلات المكتوبة فيطلقُ عليه (ما قبل التاريخ).

و(التاريخ) من (أرَّخَ) الكتاب: حدَّدَ تاريخه أو (أرَّخَ) الحادث: فصَّلَ تاريخه وحدَّدَ وقته و(التَّأريخ): تسجيل الأحوال والأحداث والظواهر التاريخية.

و(التاريخ) اصطلاحاً: جملةُ الأحوال والأحداث التي يمرُّ بها كائنٌ ما، ويصدقُ هذا على الفرد والمجتمع، كما يصدق على الظَّواهر الطبيعية والإنسانية أو هو كل ما يشمل الأحداث الماضية بالإضافة إلى الذاكرة، واكتشاف وجمع وتنظيم وعرض وتفسير المعلومات حول هذه الأحداث و(المؤرخون) هم الذين يكتبون عن التَّاريخ.

والآن وبعد انتهائنا من الاقتباس السابق، إذا قاربنا بين اللغة والاصطلاح في تعريف (التَّاريخ) ، لوجدنا أنَّ الاصطلاح يُحرِّك المعنى اللغوي في قالب الاستخدام فيجعلك تُشاهده حادثاً أمام ناظريك على أي شيءٍ ينصبُّ موضوعه في عالم الانفصال والتَّعليق، أو يجعلك

جزءاً منهُ في ميدان المعايشة تستقرأ سننه وقوانين جريانه وتستنبط حكمه في لطافة الخبير في عوالم الاتِّصال والتعديل.

وإذا بالاصطلاح يخلقُ فيكَ ملكةَ التنبؤ خلقاً سواء في الاتِّجاه المُعاكس لاحتمالِ ما قبل، أو في الاتِّجاه المُوافق لرسمِ ما بعد.
يقول ابن خلدون في مقدمته: " التاريخ في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيَّام والدول، وفي باطنه نظرٌ وتحقيق وتعليل للكائنات ومباديها دقيق، وعلمٌ بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق".
ويقول رشيد رضا في تفسير المنار: " التاريخ هو المرشد الأكبر للأمم العزيزة اليوم إلى ما هي فيه من سعة العمران، وكان القرآن هو المرشد الأول للمسلمين إلى العناية بالتاريخ ومعرفة سنن الله في الأمم وكان الاعتقاد بوجوب حفظ السنة وسيرة السلف هو المرشد الثاني إلى ذلك".
وأنَّى لنا كل هذا أو ذاك إلا إذا كنَّا من أهل القراءة.
وكانَ لابد من رؤى عصرية تقدم تعريفات عميقة تجد من خلالها صلة الرَّحم الوثيقة بين التاريخ والعلوم الأخرى مثل السياسة مثلاً.
يقول هنرشو: " التاريخ مدرسة لتعليم طريقة البحث السياسي إذ من المعروف نسبياً أنَّ التاريخ سياسة الماضي والسياسة تاريخ الحاضر".
قد كنتُ وأنا صغير أشعرُ بأنَّ اللغة العربية بحرٌ وسيع وعميق أحوط من مُحيط وأعلى من سماء وله أمواج تعلو وتهبط وشطآن يداعبها المدُّ والجزر حيناً، وحيناً يدخلُ معها في حربٍ كأنما يُريدُ أنْ يهدمها ويخرج منْ حدودها التي يراها وهماً، فانظر إلى الكلمة في إعرابها وبنائها وانظر إليها في اشتقاقاتها وفي أُخوَّتِها لألفاظٍ وكلماتٍ تبتعدُ منها وتقترب كأنَّه السِّحرُ وقد حوَّلها منْ حالٍ إلى حال.

(تاريخ) أوَ ليست الكلمة تبدأُ بحرفِ التاء؟ أوَ ليس هذا الحرف منْ حروفِ المُضارعة التي تُضفي على الفعلِ لمسةَ الحاضر المُتحرِّك؟
(تَـ): تَثبت / ترجع / تتقدَّم – تغدو/ تروح / تذهب / تأتي / تمُر / تقف / تتحرَّك – تتلو / تخُط ...إلخ.
أوَ ليس (التاء) هو أول حرفٍ في كلمة (تربة)؟ أوَ ليست هي التي تجفُّ فتجوع الكائنات؟ وهي التي تخصب وتتشقَّق وتنبتُ حَبَّاً ونباتاً وثمرا؟ والتي يخرجُ منها التمر والتين والتفَّاح وسائرُ ما تأكل الأحياء؟ وقد تارَ الماءُ فيها فقرأ عليها تعويذة العطاء.
(تاريخ): (تار)...و(يخ)، وقد أرسلَ اللهُ رسله تترى عسى كل أُمَّةٍ تعتبر بمن سبقتها، وربما ترى تارةً ما لم تلحظه أُخرى.
(يخ): ربما أنا بحاجةٍ إلى يختي الخاص أبحرُ به تاركاً بصمةً تميِّزُ عيني عن باقي الأعين، ولكلٍّ منَّا شعاعٌ مختلفٌ تحدَّث للآخرين عمَّا رأى تحت ضوئه وإنْ أخطأه التوفيق في حديثه عنْ باقي المساحة.
وإنْ فقدَ التاريخُ لديه إحدى حلقاته، أخذَ يبحثُ عن القوانين التي تحكم سير أحداثه، ففلسفَ لهُ فلسفةً ووضعَ لها منطقاً يضبطُ ما استخلصه منْ بين طيَّاته، ليقدِّمَ ترجمةً تناسبُ ما نقلَ عنْ صنوفِ لغاته وتنوع ألسنته وعدم ثبوته في ثباته، راصداً تحركه فيما استوقفه منْ تجميدِ حراكه.
وتمرُّ السنون والأرضُ تُغيِّرُ وضعها شاء أم أبى منْ فوقها من البشر، ومن العجيب المستغرب أنَّ المقطع (يخ) في اللغة الفارسية بمعنى ثلج أو جليد، فهل يبقى الجليد على حاله وكل شيءٍ في تغيُّرٍ مستمر؟!
يبدو أنَّ للأرضِ فصولاً أُخرى غير الفصول الأربعة! فهل سينصهر القطبان؟ وتذوب ثلَّاجات الأرض ليكون التجمد في مواضع أُخرى؟

للأرضِ أيضاً تاريخها الخاص قبل مجيء الإنسان، وللإنسان أيضاً تاريخه المرتبط بتاريخٍ آخرَ للأرض، فهل يستطيع التفريق بين قدره ومصيره؟ بين تسليمه واختياره؟

جاء في المثل: " اثنان أبردُ منْ يخ: شيخٌ تصابَى، وصبيٌّ تمشيخ". (المُعجم المُفصَّل في المُعرَّب والدَّخيل/ج1 ص460).

وفي اللغةِ الإنجليزية نجد أنَّ:

(History): علم التاريخ أو السيرة أو التأريخ.

(Hiss) فحيح أو أزيز/ صفرَ. فحَّ. هسَّ. أزَّ.

منْ الذي يتسَّحب كأفعوانٍ في جنح الظلام ليُغيّرَ التاريخ ويصنع الحدث؟ أهو تاجرُ نورٍ أم تاجر ظلمات؟ وإن كان تاجر ظلمات فهل اليقظُ النبيه ما زال موجوداً يحملُ سلاحه ويطلقُ صفارته ويقود جنوداً تطنُّ كالنحل الحارس ضد الزنابير المهاجمة؟ وهل يعلم لغةَ عدوّه أم ستكون عنده كهسهاسٍ فلا يأمن مكره؟ ومنْ لأزيز نار الفتن المشتعلة التي تلبس لك أثواباً من زينة نور؟ وهل معك أدوات الاتصال بالنور لتكشفَ المحذور فتفرّقَ بها بين نورٍ ونور؟

أمْ تُراكَ سبقتنا جميعاً فملكتَ آليات فتح القلوب قبل الثُّغور؟!

(Hist): صه. اسكت. اسمع.

هل تسمع صوت العبرة وهي تتشكل أمامك رويداً رويداً؟ سوفَ تسمعها، فقط كفَّ عنِ الكلام حتى ينتهي الكلام.

(Story): هل أعجبتك القصة؟ هل أزعجتك؟ هل أبكتك؟ هل تفهمها؟ وهل تعلم المغزى منْ ورائها؟

هل أثارتك؟ هل قدحت عندك شرارةَ فكرةٍ جديدة لنظريةٍ أو اختراع؟

أما زلتَ تسمعُ صوت التاريخ؟!

ربما هو مكتوبٌ على أوراقٍ أُخرى غير أوراقِ الكتب؟ أو أنَّ أوراقاً أخرى توضِّح لكَ ما غمضَ عنك؟

فتِّش في حنايا الطبيعة، وقلِّب في آفاقِ فطرتك، واسلك في دهاليز نفسك؟ هل ترى القانون؟

يقول اللهُ في كتابه: {وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} (سورة الذَّاريات 51/ 21)

أبصرْ ما في نفسك؟ هل ترى؟

هل تُبصرُ ما أبصره؟

هل عثرت على الكنز؟

هل تقرأ ما أقرأه؟

يقول الإمامُ عليٌّ (كرَّمَ الله وجهه ورضي عنه):

دواؤك فيك وما تبصرُ ... وداؤك منك وما تشعرُ

وتزعمُ أنَّكَ جرمٌ صغير ... وفيك انطوى العالمُ الأكبرُ.

أكتفي بالمثالِ السَّابق لبيانِ أهمية التحليل اللغوي والاصطلاحي للكلمات تمهيداً للغوص في دلالتها وكشف ارتباطاتها، ولولا الخوف أنَّ يشطَّ بي البحث إلى غير ما وضعته له لعرضتُ المزيدَ منَ الأمثلة.

حسناً لننطلق الآن إلى كلمتنا الذَّهبية ((القراءة)). ....

****

مفهوم القراءة

وردَ في (لسانِ العربِ) لابن منظور: قرأَ الشيء قرآناً، جمعهُ وضمَّه بعضَهُ إلى بعض، ويُقال: ما قَرَأتْ هذه الناقةُ جنيناً قط: أي لم يضْطمّ رحمها على ولد، وأنشدَ: (هجانُ اللَّونِ لمْ تقرأ جنيناً)، وقَرَأت الناقةُ والشّاةُ: حملت.

وفيه قولٌ آخر: لم تقرأ جنيناً: أي لم تلقه، ومعنى قرأتُ القرآن: لفظتُ به مجموعاً: أي ألقيته، وسُمِّي القرآن لأنه جمعَ القصص والأمر والنهي، ويُقال عن أحد أصحابِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه أقرأ الصحابة: أي أتقنُ للقرآنِ وأحفظ.

وأقْرأَ عليه السلام: أبلغه سلامه، وأقرَأَت النَّاقةُ والشَّاة: استقرَّ الماءُ في رحمها،

وأقرَأَت الرياح: هبَّت في أوانها، وأقرأ أمرك: دنا، وأقرأ منْ سفره: رجع.

والقَرْءُ: الوقت؛ ولذا فهو يُطلق على الحيض أو الطُّهر، وفي القرآن:

{والمُطلَّقات يتربَّصنَ بأنفسهنَّ ثلاثةَ قروء}: أي ثلاثة أطهار، فإذا كانت المرأة تحت زوجها فالقرءُ حيضها، وإنْ لم تكن فالقرءُ طهرها، وقال بعضهم: القرء ما بين الحيضتين، ويقالُ: قرأت المرأة.

والقارئ: اسم الفاعل منْ قرأ، والجمع: (قارئون وقَرَأَة وقُرَّاء)، وقَرَّاء: كثير القراءة

والقارئ: الوقت، يقال: هذا قارئ (كذا)، والقارئ: النَّاسك، وتقرَّأ: تنسَّك،

والقارئ: الريح لوقت هبوبها.
والقِرْأَةُ بالكسر: مثل القِرعة الوباء، يُقال: قِرْأةُ البلاد: وباؤها.
وقالَ بعضهم: قرأت: تفقَّهت ...إلخ.
وفي المعاجم الأصغر المُبسَّطة: قرأَ: تتبَّعَ بالنَّظرِ نصَّاً مكتوباً أو مطبوعاً ونطقَ بكلماته أو بدون أن ينطق وهي القراءةُ الصَّامتة.
ويقول الــ أ.د. عبد اللطيف الصُّوفي في كتابه/ (فن القراءة): (قرأَ الأمورَ: تتبعها لمعرفة أحوالها وخواصها، والاستقراء: - عند المنطقيين – هوَ إثبات الحكم للكل بواسطةِ ثُبوتِه لأكثرِ أفرادِ ذلك الكُل، كقولك: كلُّ حيوانٍ يُحرِّكُ فكَّهُ الأسفل عندَ الأكل؛ لأنَّ الإنسان، والبهائم، والسِّباع كذلك. والمَقْرَأُ: ما يُجعلُ عليه الكِتابُ عندَ القراءة).
ونستنتجُ ممِّا سبق أنَّ مادة قرأَ بمشتقَّاتها المُتفرِّقة تحملُ أكثرَ منْ معنى {حمل الجنين/ إلقاء الجنين/ الجمع والضَّم/ الإتقان والحفظ/ تبليغ السَّلام/ الوقت/ الحيض والطهر/ التنسُّك/ الوباء/ التَّتَبُّع بملاحظةِ البصر لنصٍّ مكتوبٍ أو مطبوعٍ معَ النطقِ أو بدونه... إلخ}.
بما يكشفُ لنا عنْ خطوطٍ جديدة لتأمُّلِ المسألة.
والقراءة في اللغة اللاتينية (Lectio) وتنطق لاكْتِيُو من الفعل (lect): يقرأ، و(Lect): سرير، و(Lec): محاضرة
والقراءة في اللغة الإنجليزية (Reading) من الفعل (read): قرأ. طالعَ. تلا
و(Read): مقروء، و(Reader): كتاب مطالعة أو قارئ.
و(Ready): جاهز أو مُستعد.
وإذا استعنَّا بمترجم Google:

نجدها في الفرنسية (En lisant) وتنطق آنلِيزا، و(La lecture) وتنطق لَا لِكْتِيُو، فإذا أمرتك بالقراءة أقل لك (Lire): اقرأ. وتنطق لِيهْ.
وفي الإيطالية القراءة (Lettura) وتنطق لِيتُّورا من الفعل (lettu): يقرأ أو استالِجندو (sta leggendo): يقرأ، وتقول: أنا أُحب القراءة: Amo leggere (أَمُو لِيجرِهْ)
وفي الألمانية القراءة (Lekture) وتنطق لِيكتغا، وأنا أُحب القراءة: Ich liebe das lessen ، وتنطق: إش ليبي داسْ لِيزِن
وفي الإسبانية (Lectura) وتنطق لِكتورا
وفي الهندية (अध्ययन) وتنطق آدِنْ
وفي الفارسية (خواندن) ويقرأ كتاب: (او كتاب مي خواند)
وفي اليابانية (読む) وتنطق يمْهِ، ويقرأ (読んでいます) وتنطق يندِمَس.
ولم نجد الثراء اللغوي المتعلِّق بالقراءة في أيَّةِ لغةٍ مثلما نجده في العربية.
وإنَّا لنستنتج منَ الاستنتاجِ السَّابق: أولاً: أنَّ قصر معني القراءةِ على الأمورِ المتَّصلة بالجهرِ بالمكتوبِ المُلاحظ أو تتبعه صمتاً فيما يتَّصلُ بتلاوةِ المخطوط أو خطِّ المتلو لمُصيبةٌ كبيرة تدلُّ على تقهقر الإدراك في الأمَّة وفقدِ كثيرٍ من لغتها.
وثانياً: ونحنُ الأمَّة التي بدأ كتابها الموحى لرسولها ﷺ بكلمة (اقرأ) بلسانٍ عربيٍّ مبين، فكانَ لابد أنْ يأخذَ مفهوم القراءة أبعاداً جديدة لم تطرحْ منْ قبل في العهودِ السابقة، وتناسب العصر الذي نحياهُ الآن.

فأغلب التعريفات الاصطلاحية لم يغطِّ المعنى الأشمل الذي نقصده في بحثنا؛ فبالنظر إلى بعضٍ منها بشكلٍ مختصر مما ورد في محرك ويكيبيديا وبعض النشرات البحثية:

" هي حلقة وصل بين المكتوب والملفوظ سواء كان ذلك بشكلٍ سرِّيٍّ أو علنيٍّ"

أو " هي عملية ذهنية تمَكِّن الشخص من استيعاب المكتوب النصِّي والتعليق عليه"

أو " هي عملية معرفية تستند على تفكيك رموزٍ تُسمَّي حروفاً لتكوين معنى يُساهم في البناء المعرفي من خلال الفهم والإدراك للمعلومات المتراكمة"

أو " هي عملية تفكيرية تشتمل على فكِّ الرموز المختلفة للوصول إلى المعنى بالاعتماد على أفكار سابقة في تنظيم الأفكار وفهم النص الملحوظ".

ولكن ماذا لو كان القارئ كفيفاً وكان نصُّه ملفوظاً لا ملحوظاً، مثل طه حسين أو جون ملتوون أو أبو العلاء المعري أو عبد الله البردوني، بل ماذا لو كان القارئ فاقداً لنعمتي السمع والبصر معاً وكانَ نصُّهُ ملموساً مثل هيلين كيلر الأمريكية التي كانت تعتمدُ في قراءتها على أبجدية الأيدي وطريقة برايل وفك شفراتِ الشفاه، هذه المرأة التي كانت تقرأ بيدها ما عجزَ الكثيرون منَ المبصرين أن يقرؤوه بأعينهم، وكانت تعيش ما تقرأه في قلبِ الميدان بالشمِّ واللمس ومشاركة الوجدان لترجمة العقل لكل شيء من بشر وحيوانات ونباتات وجماد، كانت تقول: "أنا صماء لكنِّي أسمع، أنا عمياء لكنِّي أُبصر".

وهل المقروء ما كتبت الأقلامُ ورصَّت الأحبارُ دائماً أو نقلته الأفواه من كلمات عبر الهواء إلى الآذان أو عكسته شاشات الحواسيب والهواتف والتليفزيونات أو بثَّته سمَّاعاتها عبر الأثير؟!

إنَّ كثيراً منَ القراءات كانت في كتبٍ غير الكتب وصفحاتٍ غير الصفحات وشاشاتٍ غير الشاشات، وانظر إلى الطبيعة حولك تعرفْ، وإلى الفطرةِ داخلك تدرك، وانظر إلى أدوات استقبالِ البصيرة التي فاقت البصر والشعور الذي فاق اللمس والتخاطر الذي فاق السمع والذَّوق الذي فاق التذوق والنشوة التي فاقت الشم، والنَّبض الذي فاقَ العِناق، والطَّرب الذي فاقَ التوازن، وسياحة الرُّوح التي فاقت الحركة وسفر الأجساد، والإشراق الإبداعي الذي فاقَ تولُّد الأبدان وتتابع الأفكار، والإلهام الذي فاقَ التلقين، واليقين الذي فاقَ العراك بين الشك والحُب، والحُب الذي سبقَ نموَّ الثمارِ عنِ الحَب..!

إنَّ عيسى (عليه السلام) هاجمَ كلَّ كهنة الهيكل من صدوقيين وفريسيين وآسين وسامرية وغُلاة؛ لأنهم تقيَّدوا بالنَّص والشَّكل وتاجروا بما معهم في الثوابِ والعقاب وأفرغوا النَّفسَ الإنسانية من روحها وضميرها وذبحوها قبل القرابين على مذبح الرياء، فأعاد كما يقول عباس محمود العقاد توجيه قومه إلى القبلة الحق وهمُّه في الإصلاح النَّفسي تغيير المحور بتغيير البواعث لا تغيير المقادير بتقديم النَّفس الإنسانية على الأشياء؛ فالرَّابح من كسَب نفسه وإن خسرَ العالم.

ونهاية الأحداث في قصَّة المسيح (عليه السلام) تعلمنا درساً خطيراً وهو كما يقول عباس محمود العقَّاد في كتابه (عبقرية المسيح): (أنَّ شوطَ الضَّمير لا ختامَ له)؛ لأنَّ الخير مهما قويت شوكته وانتشر وذاع فإنَّ الشرَّ والشقاء لنْ ينقطع أحدهما عن العالم إلى قيام السَّاعة.

ورغم هذا الهجوم على طوائف اليهود من الفقهاء والحفظة، إلا أنَّ المسيح (عليه السلام) كان يُشجِّع على عدمِ إهمالِ الكتب.
قالَ المسيح: " فتَّشوا الكتب لأنَّكم تظنُّون أنَّ لكم فيها حياة أبدية" {يو5:39}
أرى أنَّه كلما اتَّسعت دائرةُ ما يتساءل عنه المفهوم، فذا يجعلنا نتعمَّق أكثر في كشفِ مادَّته، وكلما تكشَّفت مادَّته أكثر كلَّما ظهرت تفاصيل عناصره في يسرٍ وجمالٍ ودقَّة.
القراءةُ بالنسبةِ لي: هي " جمع رحيق كل تعبير لكلِّ موجود عن طريق التسبيح والكِتاب (أو الكُتب): (الكتاب) الذي هو لغة العلم المُشتركة الصُّغرى لتوليد القانون، و(التَّسبيح) الذي هو لغةُ العلم المشتركة العُظمَى الكاشفة لمكنونِ كلِّ قانون؛ لفرز حكمتك الخاصَّة المنسوجةِ بنولي الفهم والحفظ، وتبليغها تمكيناً لرسالةٍ لها فتحٌ وشأنٌ وسارية"
أو هي: (جمع رحيق كل تعبير لكل موجود في أو من خلال بُعدينِ:
البعدُ الأول/ بُعدُ التَّسبيح
والبعدُ الثَّاني/ بُعدُ الكِتاب أو الكتب
بهدفِ كسب الحكمة فهماً وحفظاً وتبليغها لمن يستحق كرسالةٍ لها عطاؤها ومكانتها وَعَلمُهَا المرفوع).
وهذان البُعدان (التَّسبيح والكِتاب) في تلاقٍ مُستمر، وكلٌّ بعدٍ منهما يأخذك للبعدِ الآخر، مثل موجِ البحرِ حينَ يتحرَّك، ومثل الانتقال في الأرض حينَ تنتقل، ومثل الغوص في أعماقِ البحارِ حينَ تغوص أو العروج في السَّماء حين تعرج، لمن أُوتي سلطانَ الغوصِ أو العروج.

وعند الاندماج بينهما يتحقَّق الاشتراك الأكبر المتضافر، الذي يتولَّدُ منهُ تكبيرات المنتصر، الذي يقولُ كل ما فيه: الله أكبر، ويعملُ كل ما فيه شُكراً للبارئِ الحَكَم.

ولا أعني منْ كل ذلك إلا إيجاد القارئ قبل الكتب، القارئ صاحب القلب والإنسانية والاستعداد النَّبيل، والذي يُقدِّر أنَّ القراءةَ مُعجزةٌ قبل أنْ يقرأَ.

وأنَّ اللهَ أنزلَ إلينا كتاباً مُبِيناً جمَعَ لنا فيه بينَ البُعدين (بُعْدَي التَّسبيح والكتاب) فتفجَّرت منه ينابيع السمو على مستوى الروح والمادة، وينابيع البيان، وأنوار العطاء لأمتنا تحتَ رايةٍ تجمعها تُحَدِّد هويَّتها وترسم لها وجهتها فحُقَّ لها أنْ تقود.

ولكي تمتلك هذه الأمَّة مفاتيح القيادة منْ جديد، فلابد أنْ تبدأ بأعظمِ هذه المفاتيح، وهو مفتاح كلمة (اقرأ) فهو سرُّ نهضتها ومفتاح قيامها منْ جديد.

وبالحديث عنْ هذا المفتاح سوفَ تَتَكشَّف لنا أبعادُ القراءة التي قصدنا.

... فإلى هُناك.

****

بُعدُ التَّسبيح

قولك: سبحان الله! يعني تنزيهك لله عن كلِّ سوءٍ أو نقص، ولن تحظى بهذا التَّنزيه إلا إذَا سَبَحت رُوحُكَ في عوالم الله المُسَبِّحةِ لله.
ذكرُكَ لله ومعرفتُكَ تسبيحَ الكائنات، وإنْ لم تسمع منها هذا التَّسبيح أو تفقهه بشكلٍ مُباشر، لا يُثنيك عن التَّأمل لترى.
وكم صاحبِ نظريّةٍ أعمى عن رؤية مكنونات عملها التي تُحَدِّثُهُ عن مُقتِنِها الأول، والذي هو بيده وحده استمرار عملها في كونه الكبير.
تنَصَّت كيف شئت؛ فلن تَشِيَ لكَ الأشياء إلا بما شاء اللهُ لها أنْ تشِيَ به إليك.
وحَدِّقْ إليها بكلِّ ما أُوتيتَ من قوَّةِ التحديق.
واستخدمْ آلاتك المُتقدِّمة من مجاهر إلكترونية تُكبِّر الأشياء مئات الآلاف من المرَّات، واستخدم الاستروبترون، واجلب أعتى ما لديك من مراصد التَّقريب الفضائية لنبشِ أسرار الكون؛ فلن يُكشفَ لك منها إلا شيءٌ شاء اللهُ أنْ يُكشفَ لك.
جاءَ في الإنجيل: "اذهب إلى النملة أيها الكسلان. تأمَّل طرقها وكنْ حكيماً" (أم 6/6).
إنَّ التَّسبيح نوعٌ أكبر وأعمق منَ القراءة التقليدية التي بينك وبين الكُتب.
وما القراءةُ في حقيقتها إلا تسبيحٌ؛ فإنْ كُنتَ منَ المُسبِّحين فلن تقرأَ في الكتبِ قِراءةً تُماثلُ غيرك من القارئين.
تنصَّت وحدِّقْ
استمرْ في التنصُّتِ والتَّحديق

ألا تراهُ خلفَ الأشياء.. ألا ترى رسائلهُ في حُروفِ الأسماء، وأسماء الأشياء.. وأسماء الوجود، وانعدام الموجود، ووجود المعدوم؟!
ألا تراه في كلِّ مرصودٍ ومقروءٍ ومكتوبٍ ومرسوم؟!
بَحَسَبِ نصيبك ممَّا يُسمح لكَ به أنْ تسمعه أو تراه، يكونُ نصيبك من كُنوزٍ وأسرارِ سبحان الله.

****

مفتاح نهضة الأُمَّة

{اقرأ}

وتحقُّق البُعدين في القُرآن الكريم

يقول الحقُّ سبحانه:
{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} (سورة العلق 96/1:5).
كانت هذه هي أوَّل الآيات نزولاً على النبيِّ الكريم محمد ﷺ وكانت (اقرأ) هي أول الكلمات وأول الأوامر مطلقاً.
يقول الـــ د. أحمد محمد سعيد السَّعدي في بحثه تحت عنوان (القراءة الكنز المفقود في حياتنا): " نزلَ قوله سبحانه (اقرأ) على نبيه ﷺ مطلقاً عن كل قيد، محذوف المفعول به، وحذف المفعول به يدلُّ على عموم الفعل لكلِّ ما يصلح له؛ فإذا قلتُ لك: انظر، ولم أذكر لك المنظور، فالمعنى انظر إلى كل ما تقع عيناك عليه، فكذلك المقروء هنا كل ما يقع تحت يدك، ولكن بشيءٍ من التنسيق والمنهجية، معَ الابتعاد عما لا جدوى من وراءه، فقد كان النبيُّ ﷺ يستعيذُ بربه منْ علمٍ لا ينفع".
والـــ د. راغب السرجاني في مقالٍ طويل تحت عُنوان (القراءة منهج حياة) يقول: (إنَّ القرآن يزيدُ على سبعٍ وسبعين ألف كلمة، ومن بين كل هذا السيل من الكلمات كانت كلمة (اقرأ) هي الأولى في النزول، كما أنَّ في القرآنِ آلافاً منَ الأوامر: أقم الصلاة.. آتوا الزكاة.. وجاهدوا في سبيل الله.. وأْمر بالمعروف.. انه عن المنكر.. اصبر على ما أصابك..

أنفقوا مما رزقناكم.. توبوا إلى الله.. وغيرها الكثير.. ومن بين كل هذه الأوامر.. نزلَ الأمر الأول: (اقرأ)...!).

تعالوا معاً نستعرض الحديث الذي يروي الحادثة الأخطر في التاريخ:

في رواية البخاري عن عائشة – رضي الله عنها – قالت:

"" أوَّلُ ما بُدِئَ به رسولُ الله ﷺ منَ الوحي الرؤيا الصادقةُ في النوم؛ فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثلَ فلق الصبح، فكانَ يأتي حراءً فيتحنَّثُ فيه ويتزوَّدُ لذلك، ثمَّ يرجع إلى خديجةَ فتزوِّده لمثلها، حتَّى فجِئَهُ الحقُّ وهو في غارِ حراءٍ، فجاءَهُ الملكُ فيه، فقال: اقرأْ، فقال لهُ النَّبيُّ ﷺ : فقلتُ ما أنا بقارئٍ، فأخذني فغطَّني حتَّى بلغَ منِّي الجَهْدُ: ثمَّ أرسلني فقالَ: اقرأْ، فقلتُ: ما أنا بقارئٍ، فأخذني فغطَّني الثانية حتى بلغَ مني الجَهدُ، ثمَّ أرسلني فقالَ: اقرأْ، فقلتُ: ما أنا بقارئٍ، فأخذني فغطَّني الثالثة حتى بلغَ مني الجهدُ، ثمَّ أرسلني فقالَ: { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} حتَّى بلغَ { عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} فرجعَ بها ترجفُ بوادِرُهُ، حتَّى دخلَ على خديجةَ، فقالَ: زمِّلوني، فزمَّلوه حتَّى ذهبَ عنهُ الرَّوعُ، فقالَ: يا خديجة ما لِي؟ وأخبرها الخبر ..... "" إلى آخر الحديث. (صحيح البخاري ص 6982).

تخيَّل معي أنَّ إنساناً كريماً مكثَ بين قومه أربعينَ عاماً لم يكذب قط، وبلغت أمانته حدَّاً لا يُنافسه فيه أحد، ولم يكن يتلو قبل القرآن منْ كتاب أو يخطُّهُ بيمينه، وقد اصطفاهُ الله ليكون خاتم أنبيائه ورسله إلى خلقه، فلمَّا جاءت ساعة الوحي ومجيئ الناموس تكونُ البداية أمراً بالقراءة؟!

فأيُّ أمرٍ بالقراءة لمن لا تخطُّ يمينهُ شيئاً بمِداد، إلا إذا كانت القراءةُ تعني أموراً أكثر في العِداد، مُتجاوزةً منظورَ المَخطوط وتحرير الخطرات.

يقولُ سبحانه: {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا} (سورة الإسراء 17/ 106)

أي لتبلّغه لمن أُرسلت إليهم من وعاءِ صدرك على مهلٍ في تثبتٍ وترسُّل، وتلقيه عليهم فهل يسمعون؟ وعندما يُولدُ النور فهل يعلمُ بمولده إلا المُبصرون؟

(اقرأ): بلِّغ. وهل يُبَلِّغ النور إلا الأصفياء؟ و(اقرأ): ألقه أروع إلقاء. وهل يُلقيه إلا منْ طاقَ حملَهُ بمعونةِ السماء.

(اقرأْ)، وإنْ شكَّ أحدٌ أنَّك أخذت من الأولين مسطورهم، أو أنَّكَ أتيتَ بالآيات منْ قِبَلِ نفسك ردَّ شكَّه نفيُ تلاوتكَ لكتابٍ قبله أو خطِّكَ له بيمينٍ.

{وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ} (سورة العنكبوت 48/29)

فإنْ عجزَ اجتماعُ الخلْقِ التَّالين للكتبِ والخاطِّينَ لها منْ أساطين البلاغة وخبراء اللغة في عصر عبقرية النطقِ بها ودهاقين الفكر وسياسة النفس والشعوب وعالمي اللهجات ومخضرمي الأزمان الطويلة منْ إنسٍ وجان وإن اجتمعوا عنْ الإتيانِ بمثله، فكيفَ يقولُ مُحمَّدٌ منْ نفسه مثل ذلك القول العظيم وهو لم يتلُ أو يخط قبله منْ كتاب؟!

وإنما خطَّهُ الله في صدره وحياً، وجمعه في قلبهِ حفظاً، فتلاه منْ مسطورِ الصَّدرِ نوراً خالداً مُنزَّهاً عنِ التلاعبِ والتحريفِ أبدا مُستقلاً عنْ ذاتِ خلقه بما فيهم أنبيائه كظاهرةٍ فريدةٍ غير قابلةٍ للتقليدِ والمحاكاة.

ولمَّا كانَ موضعه قبل التبليغِ في الصدور؛ كان لضمّةِ جبريل وعصرةِ الإعياء تقديراً لخطورةِ المحفوظ في صدر الرسول قبل صدور المُرسل إليهم على خطِّ النور الموصول باللوح المحفوظ.

إنها القراءة الكبرى في آخر الزَّمان بدأت بأمرٍ بها وحِضنٍ منْ نوعٍ خاص فيه عِناقُ الضمِّ للأنوار وعصارة أحكامها وكنوزِ حكمتها المتمشية مع الأمكنة والأزمنة حتَّى ختام صفحة الكون.

كانَ لابد أنْ ترتبط السماءُ بالأرض عندما يتعانق المخلوقان الرسول النبي والمَلَكُ الرسول.

كانَ لابد من تلاقي الرسول بالوسيط عبرَ حِضنٍ شديدٍ يتلاقى فيه نبض الأرض بنبض السماء في إثارةٍ بالغةٍ تهزُّ الجوارح وتشعلُ الوجدانَ بالنور ممزوجةٍ بأمرٍ يضرب الآذان، يُفيق النَّائم ويُنبَّه الشَّارد ويُدهش اليقظان.

(اقرأْ)

(ما أنا بقارئ) يكررها ثلاثاً ردَّاً على ثلاث منَ الضَّمَّات الجبرائيلية المتتابعة بالأمر القوي.

(ما أنا بقارئ): ردَّة الفعل الأولى استجابةٌ تنفي عن نفسه مطالعة الكتب

(ما أنا بقارئ) ردَّة الفعل الثانية استجابةٌ تستسلم لتوضيح المُراد قراءته، باعتبار أنَّ الباء زائدة للتوكيد بمعنى (ما أنا قارؤه؟) وقد شعر أنَّ القراءة اتَّخذت بُعداً جديداً وهو تسليم اتِّقاء أو افتداء عودة الملك إلى ضمَّةٍ ثالثة، بعد أن بلغَ منه الجهد للمرة الثانية.؟ كما سنرى في روايةٍ أُخرى.

(ما أنا بقارئ) ردَّة الفعل الثالثة استجابةٌ تطلبُ كيفيةَ الامتثال للأمر المُكَرَّر من الملك. لستُ تالياً لمخطوطٍ أو خاطَّاً لمسطور، وماذا أقرأ؟ وهل لديَّ ما أقرأه؟ وكيفَ إنْ كانَ أقرأه؟ ولذا أجابه في الثالثة: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * ....}.

وهنا يظهر ذكر الله في الدخولِ على المقروء، وهذا هو البُعدُ الأولُ في جمعِ الرَّحيق، والجديد فيه أنَّ الجمعَ سيكون – وبتوسُّعٍ - منْ كل

موجود، {.... وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ.....} (سورة الإسراء 44/17).

وبما أنَّ الأمَّة الخاتمة للأمم أمة ستدخل هذا البعد بقوَّة، فكانَ لابد أنْ تكون معجزتها باقية بعدَ ذَهابِ رسُولها ﷺ، وهي كلَّما توغَّلت أكثر بتقدمها في هذا البُعد، ظلَّت معها المُعجزة تخبرها وتذكرها بكشفها لمحدود ما ستصلُ إليه في الآفاقِ وفي أنفسهم ورؤيةِ الله المُتكلِّم إليهم في كل شيء تناله أيديهم أو ترمقه أعينهم بالبحث والنظر؛ فيُصغي كلٌّ من أفرادها سمعه إلى الآية الكُبرى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}

وبعد انقطاع المعجزات، وعدم وجود الرسول الذي يُكلِّم الناس عن الله بعد الرسول الخاتم ﷺ، كانت المعجزة هي كلام الله ذاته الذي لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه مُتَّحداً مع تسبيح مخلوقاته وآياته، فلم تتنافر ولن يكون.

وبما أنَّ العرب في الجاهلية لم تدلهم مخلوقات الله عليه بعدَ أنْ ضلُّوا؛ فكان لابد أنْ تبدأ القراءة منْ كلامه العظيم، والذي يهدي به الله كلَّ من فتحَ عينا قلبه أو ألقى السمعَ وهو شهيد، وكلامُ الحقِّ هو الذي سيجعلُ المُهتدينَ قَرَأَةً بحق.

وبما أنَّ أعظم موجود هو الله، وأننا نتعرَّف عليه منْ خلالِ كتبه ورسُله، فأعظم قراءة عن الله ستبدأ منْ كلامهِ العظيم والذي هو الأولى بالبسملة عن كل أمرٍ مشروع فيه، والبسملة التي تبدأ بها السور مُتضمِّنة في قول الله {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} وهو سبحانه سيدلك بكلامه عليه مثلما ستدلك مخلوقاته المُسبِّحةُ في ملكه وملكوته وأرضه وسماواته وما بينهما.

وبما أنَّ القراءةَ هي التي سنتعلَّمُ منْ خلالها أهمية البسملة، كان الأمر بها هو الأوَّلُ في النزول، وبما أنَّنا سندخل عليها باسمه سبحانه؛ فقد تضمنتها أول الآيات نزولاً {..... بِاسْمِ رَبِّكَ .....}.

يقول الـــ د. راغب السرجاني في مقالِه (القراءة منهج حياة):

(إنَّ للقراءة ضابطين: الأول/ أنْ تكون القراءةُ باسمِ الله، فلا نقرأ ما يغضبه، وأن تكون قراءتنا لله، على منهجِ الله؛ لنفعِ الأرض والبشر، ولخيري الدنيا والآخرة

والثاني/ ألا تخرجك القراءة عن تواضعك، فلا تتكبر بالعلم الذي حصلته عن طريقها، وإنما أكرمك الله به {اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} ". (سورة العلق 96/ 5)).

ولكن الـــ د. راغب السرجاني يستدل بقوله تعالى {الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ} على أنَّ المقصود هو القراءة للشيء المكتوب بالقلم، لا شيء غير هذا، وأنَّ الأمر لا يحتمل الكناية ولا التأويل، وهو ما نفيناه في السطور السابقة؛ فالتوسع في معنى القراءة يجعلنا نتوسَّع في معنى الكتابة بما يترتَّب عليه تأويل لفظ (القلم) كذلك، وكشف كناياتٍ قد لا يُبديها ظاهر اللفظ.

والآن لنذهب إلى الروايةِ الأخرى:

روى ابن إسحاق عن وهب بن كيسان بن عبيد، كما روى الطبري – بإسناده – عن عبد الله بن الزبير. قال: قال رسول الله ﷺ:

"" فجاءني – وأنا نائم – بنمطٍ منْ ديباجٍ فيه كتاب. فقال: اقرأ، فقلتُ: ما أقرأ؟

فغتَّني حتَّى ظننتُ أنَّهُ الموت. ثمَّ أرسلني فقال: اقرأ. فقلتُ: ماذا أقرأ؟ - وما أقول ذلك إلا افتداء من أن يعود إليَّ بمثل ما صنع بي - قالَ: {اقْرَأْ

بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} قالَ: فقرأته. ثمَّ انتهى، ثمَّ انصرفَ عنِّي. وهببتُ من نومي، وكأنما كُتبَ في قلبي كتاباً. ....."".
إلى آخر الحديث. (في ظلال القرآن ج6 ص 3936) و (السيرة لابن هشام ج25/1).

والآن هذه الرواية تجعل ضمة جبرائيل للرسول ﷺ يتخللها وعاء من قماش حريري مزركش (بنمطٍ منْ ديباجٍ) فيه كتاب!

كتابٌ ملموس تحفظه قطعة قماش هي وعاءٌ له، تماماً مثلما مطلوبٌ أن تُحفظ الآيات المبينات داخل القلوب بدءاً منْ أعظم قلبٍ وأطهره وهو قلب محمد المصطفى ﷺ، إلى مؤمني العالم. وإذا كان الديباج فيه زركشة النَّمط التي تُذكرنا بجمال النقش الكوني من حولنا في تضاريس الأرض من جبال وهضاب ووديان وسهول فيضية وساحلية ومصابيح السماء وبهجة الفلك حافظةً للغات التسبيح في موادها وصورها، فإنَّ قلب الإنسان ديباجةٌ نابضة تنفتح بنبضة البسط فتبذلُ وتأخذ وتنقدح بنبضة القبض فتحتفظ وتتفاعل مع المحفوظ من كتاب السماء وما حواه من العلوم العلوية والإشارات السنية في قيادة كل ما هوَ أدنى.

كتابٌ من حفظه وعمل به دانَت له العوالم.

وإذا كان صرير الأقلام يُنشدُ ملاحم العلماء في أبحاثهم وتجاربهم ثمَّ يُعلنوا نصرهم في كتابٍ سجلوا فيه ما وصلوا إليه، فإنَّ آلاتِ كل فنٍّ هي أقلامٌ أُخرى قبل أقلام الأحبار، ولسانُ جبريل – عليه السلام - كان أعظم قلمٍ يخطُّ في صدرِ محمَّدٍ ﷺ أعظم كتابٍ على الإطلاق، وهو صدرٌ به قلبٌ تناسبهُ أقلامُ السَّماء.

سوفَ تقرأ ما أوحى اللهُ إليك، وجمعهُ في صدرك، وبعدها سوفَ تقرأ بنوره كلَّ شيء، ستقرأ صفحة الكون، وسر النفوس وحكمة الأشياء، ستُلهم التَّسبيح، وتسمع التَّسبيح وتَهدِي بإذنِ الرشيد الهادي العقلاء.

{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} (سورة الزُّمَر 9/39).

يقول ﷺ: "" ... فقرأته. ثمَّ انتهى، ثمَّ انصرفَ عنِّي. وهببتُ من نومي، وكأنما كُتبَ في قلبي كتاباً. ....."".

وإذا بـــ (الأُمِّي) ليسَ منْ لا يُجيدُ القراءة ﷺ؛ فهو أَقرأُ الخلق، وإنما هو منْ لا يُجيدُ كتابةَ الأسفار بحبر المِداد، فهو لا يُجيدُ الكتابة التي ارتبطت بإحدى معاني القراءة المحدودة كما أسلفنا.

وسوفَ يكتبُ بأيادي أُمَّته ما لم يكتبهُ أحدٌ قبله ولا بعده؛ فهو أعظم كاتبٍ بعدَ أنْ قرأ! - وهنا نجد تحُقُّق البُعد الثَّاني (قِراءة الكُتب) -.

وإذَا بالقراءةِ عصَا موسَى وخاتمُ سليمان، وحِضنُ جبرائيل وقُرآنُ مُحَمَّدٍ وسفينةُ نوحٍ، وسياحةُ إبراهيم وإبراءُ عيسى للأكمه والأبرص، وأسماءُ آدم ومزاميرُ داوود، وتعميد يحيي وخطُّ إدريس، وعيونُ المَها وجنَّاتُ الخلود.

والآن فأنتَ تعلم لمَ أخفى اللهُ اسمهُ الأعظم، وليلة القدر، وبداية البداية ونهاية النِّهاية، وساعة الإجابة ونفحات الدَّهر.

(اقرأْ) أمرٌ يشملُ الجميعَ: كاتباً وغير كاتبٍ.

(اقرأْ) معَ هذا الحِضنِ الرَّهيب، فالأمرُ جدّ خطير..

حِضنٌ من ملكٍ ليسَ كأيِّ ملك، وإنما هو رئيسهم ورمزٌ عالٍ منْ رموزِ السماء.. حِضنٌ يُعطينا معنى الاحتواء والاتِّساع والانتشار، لإخراجِ أمَّةٍ

تقرأُ بحقٍّ كتابَ الحق في كلامه الحكيم وكونه الوسيع، {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ} (سورة الذاريات 51/ 47)
ومنْ قرأ السماء قرأَ الأرض وازدادت معارفه وتوسعت آفاقُ فكرِه، وهذا هو السر وراء أسرع حضارةٍ بُنيت في التاريخ.
حضارةُ أُمَّةٍ لا تَجمُدُ عندَ النَّص والشَّكل، كما فعلَ اليهودُ معَ توراتهم، ولا تنفلت منْ دنياها انفلات الترهُّبِ المُبتدع عند النَّصارى بعد فترةٍ منْ رفعِ المسيح عليه السلام.
وإنما هي أُمَّةٌ وسط، وهي في وسطيتها فذَّةٌ عبقريَّة.
وهي أُمَّةٌ لا يُخشَى على أفرادها التَّجمُّدُ عند الحرف، أو التَّحجُّرُ عند الشَّكل، لأنَّ كتابها مُعجزة كلامية، ينهلُ منهُ المفسِّرون وأهل التأويل من العلماء فيُخرجون الجديدَ بشكلٍ مُستمر، ويأخذُ منه الصالحون لدنياهم وآخرتهم.
بل هي أُمَّةٌ تسافرُ في عُمقِ الحرف، وتبحرُ في الكلمة، وتتصيَّدُ جواهر نهضتها على الدَّوام.
ولنتأمَّل الآن في تقاليب كلمة (اقرأ): .....
(اقرأْ) أولها ألفٌ وصلية، وآخرها همزة قطعية، وهو ما يُناسبُ القلبَ في انقباضه وانبساطه، والحياة في سلمها وحربها، وما بين اللقاء والشَّوق، والعلوم ما بين تبحُّرٍ اتساعها والتئام تخصُّص مُحصِّلها.
وسوفَ تعلم منْ تصل ومنْ تقطع، ومنْ تُعطي ومنْ تمنع.
وبين الألفين نجد (قر): منَ السكونِ والطمأنينة والبَرَد ولكن في بثٍّ منَ النورِ الرَّهيب، {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ} (سورة الضحى 5/93).

فإذا تموَّجَ موجُها في مدٍّ بعد جزر الضمِّ الجبرائيلي العجيب تُصبح (رق): حينَ يُرسله منْ جديد لمعاودة الأمر: (اقرأ).
وما بين (قر) و(رق): هو ما بين العزم والاستقرار والقرار والوقار والقوَّة والعزيمة والصَّلابة، وبين اللِّين والمرونةِ والرِّفق والشفافية والصفاء.
والجِسمُ والرُّوح بلغةِ النَّاموس مُنفعلان؛ وهو الذي كشفَ اللهُ له فيما بعد ما سيحدثُ لحفيديه الحسن والحسين – رضي اللهُ عنهما - سيِّدَي شباب أهل الجنَّة اللَّذين سارا كلٌّ منهما إلى الحقِّ في طريقٍ مُخالفٍ للآخر، حيثُ اختار أولهما الصُّلح والآخر القتال، فكأنهما همزتان أحدهما للوصل والأُخرى للقطع، وما كانَ وصلها إلا خيراً، وما كانَ قطعها إلا خيراً في ظروفٍ تستدعي وصل منْ وصل وأُخرى تستدعي قطع منْ قطع.
ورحلة الإسراء قراءةٌ أرضية تسَلَّمَ رايتها النبيُّ الخاتم ﷺ، ورحلة معراجه قراءة سماوية تقدَّمَ فيها الرَّسول الذي اخترق على جبريل (عليه السلام) الذي لو تقدَّمَ لاحترَق، بعدَ أنْ أصبحَ المَحضونُ حاضناً في عالمِ الأرض، وتحوَّلت رسالة السجود والاقترابِ إلى عالمِ السماء، وأصبحَ قرآناً يمشي على الأرض فاستنارت به الأرض، ونوراً يخترق السَّماء فَعُرجَ به فيها حتى وصلَ لموضعٍ لم يصل إليه مخلوقٌ منْ قبل.
وهذِه هي القراءةُ بأبعادها الجديدة التي تُناسب الأُمَّةَ الأخيرة، فإذا تخلَّت عنها أنقصت منْ خيِّريَّتها بقدرِ ما تخَلَّت، وتأخَّرت بقدرِ ما أهملت.
(القراءةُ) في قرِّها ورَقِّها.. في علوِّ ألفِ وصلها الأُخروية لمن يعمل كأنَّه سيموتُ غدا، ودنوِّ همزةِ سطرها الدُّنيوية لمن يعمل كأنَّه سيعيشُ أبدا.. وتائها المربوطة جني ثمارها.

وانظر إلى قلبِك ملِكِ الجوارِح هذا الذي ضمَّهُ صَدرُكَ كيفَ يقرُّ بعدَ رق، وكيفَ يرقُّ بعد قر، أعتقه منْ كل رِق، واعبد ربَّاً واحداً، تكنْ نعمَ العبد.

وهل كانَ السَّفير بين الله والرسل إلا عبدٌ لله؟ إنَّ اسم (جبريل) في العبرية معناه رجل الله أو عبد الله.

ستكون يا محمَّدُ أعبد العابدين لله؛ فأنت أقرأُ القارئين ومُعلِّم الكاتبين، وإنْ لم تكُ كاتباً!

وما حجبَ اللهُ عنكَ الكتابةَ إلا لإقامةِ الحُجَّة على منْ تُسَوِّلُ لهُ نفسُهُ أنْ ينسجَ منْ هذه المقدرة مُستنداً للتشكيكِ والاتِّهام.

فإذا احتجَّ مُحْتَجٌّ في عصرنا وقال: ليسَ عندنا ملكة التَّذوق كما هي عند القومِ في عصرِ الرَّسول، فكيفَ نشعرُ بإعجازية المُعجزة كما شعروا همْ بها وبأيَّةِ أداة؟

قلنا إنَّ مُعجزة القرآن ليست في بلاغة كلماته وبناءِ حروفه على مستوى عصرِ النزولِ فحسب، بل في كشفِه لأمورٍ لم يسبق للعلمِ أنْ كشفها منْ قبل في بلاغة عرضٍ تُحيِّرُ منْ خبرها تحتَ أجهزته الدقيقة في مَعملِه المُعَد وفقَ آخر ما وصلت إليه التقنية، وقد عجزَ أن يُعطيها وصفاً في دِقَّةِ وصف القرآن لها الذي سبقه إليها تقريراً ووصفاً، دقَّةً لا يستطيعها منْ خبرها! فجاءهُ وصفُ القرآنِ لها بما أدهشَ المُدهشين وحيَّرَ المُذهلين، فأسلم منهم منْ أسلم، وكابرَ منْ كابر.

ورغم كثرةِ الأمثلة سأكتفي بمثالٍ وحيدٍ:

(عن الجنين في مرحلة المُضغة):

يقول مجدي سيد عبد الباقي في كتابه (الأدلة القاطعة):

(وقفَ مارشال جونسون "مدير معهد دانيال" أمام تلاميذِه وقد عرَضَ لقطةً مُكبَّرة لمُضغةٍ، وهو يشرح مَا بداخل المُضغة بعدَ إجرائِهِ تشريحاً لها، ويقول: إنَّ الجزء رقم (1) قد تَخلَّقت فيه بعض أجزاء الجسم، وأمَّا الجزء رقم (2) فلم يتخلَّق فيه شيء. ومن هنا؛ عندما نصف هذه المُضغة، أنها مُخلَّقة فقط أو غير مُخَلَّقة فقط، فهذا وصفٌ غير علمي..
وإذن لا يُمكن أنْ أصفها وصفاً علمياً إلا بما وصفه الله في القرآن:
{..... ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ....} (سورة الحج 5/22) ..... انتهى).
وتعليمُ الله الإنسان البيان، حيثُ قال في كتابه: {علَّمَهُ البَيَان} (الرحمن 4/55). ...،
.. ليحملُ في طيّاته زيادة مُفردات هذا الإنسان مع تقدمه الذي يُحرزه في اكتشافِ الطبيعة والكائنات، وغزواته العلمية واختراعاتِه التقنية.
ومع ذلك فهو يتحدَّاهُ في اكتشافاته التي جاءت بعد نزولِ القرآن بأكثر منْ أربعةِ عشر قرناً، ووافقت ما جاء في القرآن الذي سبقَ النظرية والكشف، بأنْ يُعبِّر عمَّا وجده بدقَّةِ وبلاغةِ كلامِ الله المُحيط بكلِّ ما كان وما هو كائن وما سوفَ يكون.
وكل ما سبق ليؤكِّد جمع القرآن بين لُغتي التسبيح والكتاب منْ جهة، وأنَّه منْ جهةٍ أُخرى الكتابُ الوحيد الذي يُقرأُ لذاته.
فهل نقول أنَّ قراءة المُكابر كقراءة منْ أسلم. كلَّا لقد كانت قراءة المُكابر داءُ عقلٍ ضليل وقِرْأَةُ قلبٍ عليه أكنَّةٌ منْ ظلام.
ولو أتينا إلى موضوعِ الحروفِ المُقطَّعة في القرآن، والتي ما زالت تُثيرُ فضولَ الكثير منَ الباحثين، ومنهم أنا شخصيَّاً، لوجدنا أنَّ كلَّ الكتابات

في هذا الأمر ما زالت تقفُ على الشاطئ ولم تدخل حتى اليم ناهيك عن قلب المسألة أو التَّوغل في العُمق من بحرها الربَّاني الخضم.
وهي حروفٌ نجدها في أوائل بعضِ السور وفواتحها، فنجد (الم) في سور البقرة وآل عمران والعنكبوت والروم ولقمان والسَّجدة، و(المص) في الأعراف
و(كهيعص) في مريم و(الر) في يونس وهود ويوسف وإبراهيم ويوسف وإبراهيم والحِجْر.... وهكذا.
وقد اجتهدتُ مرَّةً في الحديث عن حرفِ الصَّاد (ص) الذي بدأت به سورة ص
{ص والْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ * كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ} (سورة ص 3:1/38)
فقلتُ أنَّ صاداً منَ الصَّيِّد والصَّد، فلو اجتمعَ الإنسُ والجن على أنْ يأتوا بمثلِ هذا القرآن ذي القدرِ العظيم والشَّرف العالي والبيان ، وقد صادوا منَ البلاغةِ كلَّ معنى وفنٍّ بكلِّ سلاحٍ مُذِ الظهورِ الأولِ لها على الأرض إلى ما وصلوا إليه إبَّان عصرهم وما سيأتون بِهِ في غدِ جيلهم حتى الجيل الأخير قبل نفخةِ الصَّعق السابقة على نفخةِ البعث، وصدُّوا عنهم كلَّ ما قد يُؤخذوا عليه في تعبيرهم مهما دقَّ وصغُر بكلِّ درعٍ قديمٍ ومُستَحدَث، فلن يأتوا بمثلِه أبداً، وهذَا قَسَمُ اللهِ على ذلك ومنْ أصدقُ من الجليل حديثا! بل إنَّ الكافرين الغارقين في كبرهم وتحدِّيهم للحقِّ ورسول الحق وكلام الحق عنْ هذا لعاجزين.
وكم أهلك اللهُ من قبلهم منْ أُمَّةٍ لم تنفعها استغاثةٌ بهِ ساعة عقابٍ؛ فلم تجد لها مهرباً ولات حين مندم.

ذلك أنها حادت عنِ القراءة لمَّا جاءتها، وقد ألقوا بصنارات صيدهم في مستنقع الباطل، فلا خرجَ لهم أخذٌ ولا رد، وغرقوا في قِرْأَةِ طغيانهم وأضلَّهم سرابُ دَد.

كلَّا إنما هي حكمةٌ يؤتيها اللهُ منْ يشاء.

{يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} (سورة البقرة 269/2).

وتكمُنُ مِيزة وأهمية لغة العلم المُشتركة الكُبرى (التّسبيح) في ثلاثِ نُقاط:

1. أنَّها تصلك بالسَّماء، وتكسبك بصيرةً رُوحيّة عميقة، حتَّى إذا عَبَّرتَ عنها بمكتوبِ يدك ترَقَّى بها الضمير الدِّينِي وكانت غِذَاءً عظيماً للروح.
2. أنَّها متى اندمَجت بالبُعدِ الثَّاني (لُغةُ الكُتُب) حقَّقَت تقدُّماً ماديَّاً عظيماً لهُ رُوحٌ هادية تجعلُ القِيادة في يدِ الأعلى لا الأدنى.
3. أنَّها توفرت في القرآن ككتابٍ عظيمٍ، بشكلٍ غير موجود في أيِّ كتابٍ منْ قبلُ قط، ولن يكونَ أبدا.

****

البعدُ الثَّاني: لغة الكتاب

يقول الـــ أ. د. عبد الله بن محمد الغُزامي: في قصَّةٍ رواها تودوروف عن غزو أمريكا عن كولومبس، وهو أنَّ كولومبس لمَّا وصلَ إلى بعضِ مناطق الهنود الحُمر، واستعصى عليه هذا الموقع وظلَّ يُحاول اقتحام الموقع ولم يستطع، ولكن بسبب قراءاته في الكُتب عَلِمَ أنَّ ليلةَ الغد سيحدثُ كسوفٌ للقمر، فأرسلَ لهم رسالةً وقال فيها: "إذا لم تستسلموا فسأسرقُ منكمُ القمر!! استهتروا بالرِّسالة، وفي اليوم التَّالي ليلاً عندما بدأ القمر يُخسف، أرسلوا له رسولاً، وقالوا له: تعالَ استسلمنا! خافوا منْ فكرةِ أن يسرق القمر! هو بحساباته أدركَ أنَّ القمر سَيُخسف، المعرفةُ في قوَّتها لها دورٌ سِحري، دورٌ نافع، دورٌ ضار، دورٌ مُنتج، دورٌ يُغيِّرُ تغييراً نوعياً للكائنات).

ويقول الـــ أ.د. عبد اللطيف الصُّوفي في كتابه (فن القراءة): (إنَّ متوسِّط قراءة المواطن العربي حوالي 6د/1ي، أي ست دقائق لليوم الواحد! مقابل 36د/1ي كمتوسط عالمي، وأنَّ ثلث رجال العرب ونصف نسائهم لا يقرؤون، وذلك طبقاً لإحصائيات الأمم المتحدة لعام 2004م).

تُمِثِّلُ الكُتبُ بُعْدَ (لغةِ العلم المُشتركة الصُّغرى)، وما هو باشتراكٍ صغير إلا إذا لم يندمج مع بُعد (التَّسبيح)، الذي يربطها بنفضة (وجدتها/ سبحان الله/ بسم الله مجريها ومرساها) وعند هذا الاندماج يتحقَّق الاشتراك الأكبر المقصود.

وما ذلك التَّقدُّم الذي حقَّقته أُمَّتنا الإسلامية والعربية في عصورٍ ازدهارها السَّابقة إلا سابقة تقدمٍ نجحَ في تحقيق هذا الاندماج، فكانَ تَقُدُّماً لذيذَ الطَّعم يجمع بينَ المادّةِ والروح ويُحقِّق فتوحَ الحكمةِ ويَحملُ شارةَ الهدايةِ تحتَ ساريةٍ شريفةٍ عزيزة موصولة بنصرِ الله العليِّ.

فلمَّا انفصلنا عنْ هذا السِّر، وفقدنا هويَّتنا لنكونَ تَبَعاً للغربِ الذي أخذَ منَّا لغتنا المندمجةَ هذه ثُمَّ جرَّدها منَ التَّسبيح وصنعَ بها قُوَّةً غاشمةً يسرقُ بها مُقَدَّرَاتِ الشُّعوبِ الأضعف ويُدَمِّرهم بأسلحةٍ شيطانيَّة بلا أدنى إحساس بالذَّنب أو النَّدم!

وبينما نحنُ مبهورون بتقدُّمهم هذا، ونعلم أنَّه تقدّمٌ مُرُّ الطَّعم لا روحَ فيه ولا بقاءَ له، إلا أننا ما زلنا فقط نتكلَّم بلغةِ العلمِ المُشتركة الكُبرى، والتي لا تُحقِّق مفعولاً في صناعةِ أيَّ تَقَدُّمٍ ملحوظٍ إلا باندماجها معَ توءمتها التي تُمثِّلُ البُعدَ الثَّاني للقراءةِ بلغةِ العلمِ المُشتركةِ الصُّغرى وهي الكُتب المُسافرةُ عبر العقولِ والأصقاع.

ومنْ هنا حدثت الفجوة بيننا وبينَ الغرب لأنَّ كُلّاً منَّا يُخاطب الآخر بلغةٍ مُختلفةٍ عنْ لُغتِهِ.

نُخاطبهم بلغةِ العلم المشتركة الكُبرى (لغة التَّسبيح) فيسخروا منَّا ومنْ تَخلُّفنا الذي يحكمونَ به علينا، ويُخاطبوننا بلغةِ العلمِ المُشتركة الصُّغرى (لغة الكُتب) فلا نسايرهم لأنهم تجاوزونا فيها أيَّةَ مُجاوزة.

ومنْ هُنا تتَبيَّن لنا أهميَّةُ القراءة فِي بُعدها الثَّاني، حيثُ تَتَمثَّلُ في:

1. أنَّك تستطيع أنْ تصنعَ بها تقدُّماً مادِّيّاً رهيباً، وإنْ تخَلَّيتَ عنْ بُعدِ التَّسبيح؛ لأنَّ الأسبابَ تُعطِي منْ يعملُ بها.

2. أنَّ الاقتصار عليها في تحقيق التَّقدُّم فيهِ تدميرٌ وشر وإنْ تَقَنَّعَ بكلِّ خير، جاعلاً القيادة في يدِ الأدنى لا الأعلى، متى تَخلَّى الأعلى عن هذا البُعد.
3. أنَّ منها الضَّار الذي يطلع عليه منْ لا مناعة لديه ضد سمومه.

وها هو التَّناقض الذي تقع فيه أُمَّتنا الآن، هذا التَّناقض الذي ينطوي على عَوَرٍ في الرؤيةِ شَذَّرَ أفرادها إلى فرقٍ شتَّى: فريقٌ اتَّبعَ الغربَ في كلِّ شيءٍ فاقداً روحه المُسَبِّحة، وفريقٌ التزمَ بالتَّسبيحِ تاركاً الكُتب هاجراً لها، وفريقٌ لا إلى هؤلاءِ ولا إلى هؤلاء.

وإنَّكَ لتعجب لأمَّةٍ يقولُ نبيُّها ﷺ: " طلب العلم فريضة على كلِّ مسلمٍ" (رواية هشام بن عمار عن أنس بن مالك).

ثُمَّ لا توجب على نفسها وسائل كسبِه وتحصيله بما يشمل مُطالعة الكُتب ومُدارستها ونسخها ونشرها، والأخذ عنْ أصحابها منْ علماء ومُفكرين!

وكأنَّها أُمَّةٌ فَصَلت وسائلها عنْ مطلبها، ومطلبها عنْ غايتها!

ما الذي سنجنيه منَ قراءةِ الكتُب؟! هلْ ستقضي على الفقر والبطالة، وتخرج المُحتل منْ أرضنا؟! علينا أنْ نُقصر اهتمامنا على ما يفيدنا من تحصيل أسبابِ العيش منْ مطعمٍ ومشرب، وكفَى المؤمنين عناءَ الاطِّلاع!

هكذا سيجيبك عُمومُ الناس في أوطاننا، لتحيا عُقولهم نصفَ حياةٍ بعدَ أنْ تخلَّت عنْ غِذائها الكامل.

جاء في كتاب (العلاج بالقراءة) لـ/ حسن آل حمادة هذا التقرير:

" في التسعينيات (1993م) شعرَ الفرنسيون بانخفاض في نسبة القراءة، حينها نزلَ وزير الثقافة الفرنسي ومعه كبار المؤلفين والكُتَّاب إلى الشوارع والحدائق العامَّة والمراكز الثقافية يقرأون ويتحدثون معَ الناس

من حولهم عن القراءة والكتب في مهرجانٍ أسموه (مهرجان جنون المُطالعة) ".
ويعلِّق حسن آل حمادة: هكذا هم يفعلون! ثمَّ يستدرك: ولكن ماذا فعلنا نحن؟

وأرى معه الحق فيما علَّق وسأل؛ فلغةُ العلم المُشتركة الصُّغرى تتحدّثها ألسنة الكُتب موزَّعةً على الكاتبين حسب فتح الفتَّاح وعطاء المنَّان منْ خزائن لغةِ العلمِ المُشتركة الكُبرى، أو حسب نفث ونفخ وتسويل شيطانٍ ما؛ فهي عُصارة القراءة بمعناها الواسع وخلاصة محاصيل الفكر والبحث والخبرة والنقاش والإضافة والترجمة والنَّقد والإبداع وقصص تطور النظريات والمُخترعات وسِيَر الأعلام وأدب الأدباء وشعر الشعراء وفلسفات البشر وتاريخ سلمهم وحربهم ورحلاتهم ومعاجم تراجمهم وقواميس لغاتهم وعلومهم الجغرافية والطبيعية والاجتماعية في علوم النفس والاقتصاد والإحصاء، وهلم جرَّا. أو هي إملاء أهوائهم المُنقادة إلى شياطينهم لإخراج كتبٍ لا تصلح أنْ تكون في صداقةٍ إلا معَ أشكالها منَ البشرِ النَّاقصين ذَوي المكرِ والكسل والنفاق.
وإذا كانَ الكِتابُ في اللغة يُشيرُ إلى رسالةٍ أو مخطوطٍ مكتوب أو صُحُفٍ جُمعت بينَ دفَّتين، فإنَّ الطريق إلى تدوينها هو القلم، قالَ سبحانه {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ} (سورة القلم1/68).
ولأهميّةِ الكتابة نجد الرسول ﷺ يوصي بها قائلا: "قيِّدوا العلم بالكِتاب" (رواه الخطيب وابن عبد البر وغيرهم، عن أنس بن مالك، وصححه الألباني).
وفي حديث ابن عبَّاس (رضي الله عنه) قال:

" كانَ ناسٌ من الأسرى يومَ بدر لم يكن لهم فِداء، فجعلَ رسولُ الله ﷺ فداءهم أنْ يُعلِّموا أولاد الأنصار الكتابة، ..... " (مسند الإمام أحمد)

يقول الـــ د. راغب السرجاني مُعلِّقاً: (.. وإذا نظرنا إلى حال المسلمين يوم بدر وجدناهم في حاجةٍ إلى الأموال وفي حاجةٍ إلى الاحتفاظِ بالأسرى للضَّغط على قريش، أو الاحتفاظ بهم لتبادل الأسرى إذا أُسرَ مُسلم، لكنَّ الرسول ﷺ يفكِّر فيما هو أهم من ذلك كلِّه، وهو أنْ يُعلِّم المسلمين القراءة؛ فهذه نقطةٌ هامة لبناء أمة الإسلام بناءً مُتكاملاً؛ حتَّى إنَّ الصحابيَّ الذي يستطيع القراءة كان يُقَدَّم على أصحابه.. انظر إلى زيد بن ثابت (رضي الله عنه) الذي قُدِّمَ على كثيرٍ من الصحابة، وصَارَ مُلاصقاً للرسول ﷺ بصفةٍ شبه دائمة لأنَّه يُتقن القراءة والكتابة؛ فصار كاتباً للوحي، وكاتباً للرسائل ومترجماً للسريانية والعبرية.. كل ذلك وعمره لم يتجاوز الثلاثة عشر عاماً!! ...).

ولا تعدم بلادنا العربية والإسلامية المكتبات العامة والخاصَّة لا سيما في العواصم ومراكز الأقاليم منها، ولكن المُشكلة تكمنُ في الآتي:

1. قلة القارئين أو من يهتمون بالقراءة
2. نوعيَّةُ القُرَّاء ليست كالسابق (ومنهم الفاقدُ لبعدِ التَّسبيح)
3. تراجع الوعي التربوي
4. الضَّعف الثقافي والتَّخاذل الإعلامي .....إلخ.

لقد كانت الأجيال التي بُنيت على أكتافها الحضارة الإسلامية تمثِّلُ النموذج العالي من نوعية القُرَّاء، وكانَ الجوُّ العام يجمع بين كثرة العلماء في شتَّى المجالات وبين تنافس التلاميذ وتزاحمهم على معلِّميهم بالمناكب، إضافة إلى ثقافة التَّشجيع وتعظيم العلم والعلماء.

يقول الــ د. أحمد محمد سعيد السَّعدي: (كانَ ابن الجوزي صاحب كتاب صيد الخاطر يقول: " مَا أشبعُ منْ مُطالعة الكُتب، وإذا رأيت كتاباً لم أره فكأنِّي وقعتُ على كنز، ولو قلتُ أنَّي طالعتُ عشرينَ ألفَ مُجَلَّدٍ كانَ أكثر، وأنا بعدُ في الطَّلب" وكانَ المأمون ينامُ والدَّفاتر حولَ فراشه ينظرُ فيها متى انتبه منْ نومِه وقبل أنْ ينام، وكانَ الفتح بن خاقان وزير المتوكِّل يضع الكتاب في كُمِّه، فإذا قامَ منْ أمام المتوكِّل لقضاء حاجته أو للصَّلاة أخرجَ الكتابَ فنظرَ فيه وهو يمشي حتَّى يبلغُ الموضع الذي يُريد، أمَّا أبو بكرٍ الخيَّاط النحوي (ت 932م) فقد كان يقرأُ في الطَّريق، وكانَ ربما سقطَ في جُرفٍ أو خبطتهُ دابَّة، وهو يقرأُ غير مُنتبهٍ لما حولَه! لقد كانت القراءةُ معشوقتهم التي يزيد عشقها معَ تقَدُّمِ السنِّ ومرور الأيَّام، وكانَ أبو الوفاء بن عقيل – رحمه الله – يقول: "وإنِّي لأجدُ منْ حرصي على العلم، وأنا في عُمْرِ الثمانين، أشد ممِّا كنتُ أجدهُ وأنا ابن عشرين سنة"، وفي الحياةِ الأخيرة منْ حياةِ أبي جعفر الطَّبري، نراهُ يستدعي محبرة وصحيفة، فقيل لهُ: أتكتب وأنت على هذه الحال؟! فقال:
"ينبغي للإنسانِ ألَّا يدعْ طلبَ العلم حتَّى الممات"، وماتَ الجاحظ تحتَ رُكامِ كُتبِه").

والآن أنتَ تنظر حولك لتجدَ الأغلبية العظمى لا تفتح كتاباً إلا للحصول على شهاداتٍ وأوسمة، كما لو كانَ الأمرُ مجرَّد زينةٍ ليسَ أكثر.
لمْ تَعد هناك رسالة؟
ولو طالعتَ تاريخ المعارك التي خرجت بها الأمَّةُ منْ ضعفها وانكسارها مثل حطيِّن وعين جالوت، فسوفَ تجد أنَّ ثمَّةَ إعداداً قد

سبقها، لهُ علاقةٌ وثيقة بالعودة إلى القراءة، فانظر إلى المدارس الدينية والعلمية والتربوية كمدرسة أبي حامد الغزالي ومدرسة عبد القادر الجيلاني وغيرها من المدارس التي ظهر تأثيرها على آل زنكي ودولة صلاح الدين الأيوبي، فلقد نجحت في إعداد جيل الفتح، الذي نجح في إرجاع القدس إلى حوزة المسلمين، كما نجحت همَّة الملك المظفَّر قطز بالاتحاد مع علم وفقه العز بن عبد السلام في صياغة المسلمين في مصر والشام صياغة أُخرى انتهت بكسرٍ شوكة التتار في عين جالوت كسراً عظيماً مُنكراً.

وكما نقرأ في الأحداث عجيبَ توحد المسلمين تحت قائدٍ صالح ذي همّةٍ متوقِّدة بعد تفرقٍ وضعف في عين جالوت، نكون قرأنا سابقاً سرعةِ الانكسار بعد توحدٍ طالت أيام إعداده، بعد موتِ صلاح الدِّين – رحمه الله -.

فلا نحنُ توقعنا التجمع في الأولى، ولا نحنُ توقعنا التَّفرُّق في الثَّانية، وكل هذا بسبب التأرجح والتَّحول بين أُمةٍ لا تقرأ، وأُمَّةٍ تقرأ.

يقول الــ د. راغب السرجاني: (كانَ أحد المسؤولين اليهود يقول: "نحنُ لا نخشى أُمَّةَ العرب؛ لأنَّ أُمَّةَ العرب أُمَّةٌ لا تقرأ!).

انظر إلى مدارسنا الآن، ومؤسسات التَّعليم في بلادنا تجد أنها مناهجٌ تُعطيهم السَّمكَ في يدهم، في حينَ أنَّ الأحرى أنْ تعلِّمهم الصَّيد، ناهيك عنْ قراصنة الدروس الخُصوصية، لا سيما منْ يضعون أسئلةَ الاختبارات وقد دسُّوا الأسماك المُناسبة في يدِ طلابهم الذينَ دفعوا المالَ اللازم لأخذِه، وكفى اللهُ طلابنا الكِرام مؤونة الصَّيد والتَّحصيل، ومشقَّة التَّوسُّع في المعلوماتِ بالاطِّلاعِ الذَّاتي، وغير ذلك معاذَ الله!

وما خفي كانَ أعظم منْ بيع الشَّهادات والدَّرجات لمنْ لا يستحق!

وإذا ضاعت هيبةُ العلم، ضاعتْ معه هيبة وسائل تحصيلِه؛ ولذا لا تجدُ القراءة ذات قدرٍ عندَ أمثالِ هؤلاءِ، ولا عندَ غيرهم ممن اتَّخذَ منَ القراءةِ موهبةً! يُقبلُ عليها متى شاءَ، ويتركها متى أراد، دونَ أنْ يُشكِّلَ عندهُ أحدُ الحالين أيَّ فرق؛ فلا بُعدُ التَّسبيح عندهم، ولا بُعدُ الكِتاب مفهومٌ لديهم.

وإنْ أهملتْ الأمَّةُ الكُتُبَ، والتَّوسُّعَ في مُطالعتها؛ فقد فقدت بوصلتها في التَّفريقِ بينَ الصَّادقِ والكاذِب، وإنْ لم تعمل بما فيها وتُمارس التَّجربة فارقها التَّمييزُ بينَ الخطأِ والصواب.

أمَّا عن وسائل الإعلامِ فقد ركَّزت على القصص العاطفية، وسيرة المُتنافسين على الدُّنيا أيها أكثر تحصيلاً لمالها وزينتها! وسلَّطت الضوءَ على فتن الصِّراعِ المُخَلَّلةِ بالعُنف وسفكِ الدِّماء مُفتعلةً كلَّ ما في وسعها منْ مُسوحِ الأداء، وعينها ليسَ إلا على الشُّهرةِ، والثَّراء السَّريعِ ولو على حسابِ كلِّ قيمِ الوجود.

فلا هي حدَّثتنا عنْ سِيَرِ العظماء، ولا ثقَّفت عقلاً، أو أثارتْ لهُ خيالاً إلا على مضضِ الحيِّيّ المُقل، وكأنما تخافُ أنْ تُساهمَ في بناءِ الأمَّةِ فيقعُ فوقَ أُمِّها البناء!

ولا هي جدَّدت لها تُراثاً مُهمَلاً، أو ربطت حاضراً بغدٍ في ضوءِ الأمسِ أو حلَّت لنا مُشكَلاً.

وما أشبه الأعمال الجيِّدة التي يُقدِّمها الإعلام ببضعِ شعراتٍ بيضٍ في الثَّورِ الأسود لا تُسمنُ الضُّعفاء منْ هَزَل، ولا تدفعُ ولو بوجبةٍ يسيرةٍ جُوعَ الجُهلاء، ناهيك عن دورها في صرفِ قطاعٍ عريضٍ منَ المُجتمعِ عن مُصادقةِ الكتاب، بعدَ أنْ أضعفت رُوحَ التَّسبيحِ فيهم، فلا تكاد تجدُ منْ بينهم العبدَ الأوَّاب.

وكانَ منَ المُفترضِ لهذِه الوسائل الخطيرة التَّأثير، أنْ تعمل بثقافة (اقرأ)؛ حتَّى تُصقلَ الفطرة المتشوفة إلى النُّور، وتزرعَ عادةَ القراءة في أفراد الوطن بالمعنى العميق الجامعِ بينَ التَّسبيح والكِتاب؛ فحبُّ القراءةِ فطرةٌ يولدُ بها الإنسان، وتعلُّمُ مهاراتها والترقي في مستوياتها عادةٌ مُكتسبة تُشاركُ في تكوينها كلُّ مؤسسات التربية.

يقول الـــ د. أحمد محمد سعيد السَّعدي: (كما أنَّ الطفلَ لا ينمو دونَ طعام، فكذَا لا تنمو الأمَّة دُونَ قراءة)، ويقول كذلك: (كل منْ لا يقرأ بشكلٍ منهجيٍّ ومُنَظَّم هو اليومَ على هامشِ العصر، بل خارج هامش التَّاريخ).

وفي كتاب (تجاربهم في القراءة) يقول الـــــ د. خالص مُجيب جِبْلي: (العالمُ مَقسومٌ قسمين: قسمُ منْ يعلم، وقسمُ منْ لا يعلم. فالذين يعلمون هم الذين يملكون العالم، والذين لا يعلمون هم منَ المُسخَّرات، قالَ تعالى: {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً...} (سورة لقمان 20/31).).

حقَّاً فإنَّ الله لم يقل: سخَّرَ للمُسبِّحين ما في السماوات وما في الأرض، وإنما قالَ {لَكُم}؛ فهذا التَّسخير للجميع، ولكن منْ معهُ القوانين التي تعمل بها هذه الطبيعة، فإنَّ التَّسخير الأكبر يكون له، ويكون معهُ التَّحكم الأكبر بأسبابِ العلم والمعرفة، فإنْ جمعَ إلى ذلك عمل التَّسبيح، سبَّحَ الكون معه وأعطي له زمام القيادة التي تكونُ هي المباركةُ منْ ربِّ السماءِ والأرض.

فإنَّ العمل لا يدخلُ نطاقَ القراءتين، إلا بتعاليم السّماء.

يقولُ الحقُّ سبحانه: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} (التوبة105/9).

فهذا هو البُعدُ الأوَّل منَ القراءة، ونجد البُعدَ الثَّاني في قولِهِ تعالى:

{... اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} (سبأ13/34).

والقراءةُ التي تنهضُ بالأمَّة هي قراءةُ عملٍ، وليست مُجرّد أقوال لا روح فيها، فإذا قرأت الأمَّة قراءةَ العامل المُسَبِّح ألانَ لها اللهُ كلَّ صعبٍ، وسخَّرَ لها مفردات العالم وسيَّدها على عبادِه، وهو الحكيمُ الخبير.

وما زلتُ أذكرُ قولاً لـ الـــ د. زكي نجيب محمود يقولُ فيه: (إنَّ تحويل العلم إلى عمل هو الدلالة الحقيقية لمعنى كلمة (اقرأ)، وإنَّ قلَّةَ البحث وعدم القراءة الدقيقة للمفاهيم العلمية وراء تخلُّفِ الأُمَّة).

ولكي يَحدثُ التغيير المُتَرَقَّبُ، لابد منَ البداية منَ النَّفس التي اختارت الفِكَاكَ منْ قيودِ الأثرةِ والطُّغيانِ، وحقَّقت في واقعها جوهرَ القراءةِ بحَق.

ويُعلِّق الـــ د. خالص مُجيب جِبلي على السُّورةِ الأُولى منَ القرآنِ نزولاً، وهي (سورة العلق) قائلاً: (.... وأول كلمةٍ كانت كلمة {اقْرَأْ}، وفي هذِه السورة تمَّ تفكيك أهم مشكلات الإنسان التي بموجبها يتغيَّر تحتَ كلمة {اقْرَأْ} وبموجبها ينال الكرامة، {اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} ومنْ خلال القراءة والقلم والكرامة، يتخلَّص من أفظع مرضٍ اجتماعي الذي هو الطُّغيان؛ حيثُ جاءت الآيةُ الأخيرة {كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب}؛ ففلسفةُ القُرآن تقومُ على التغيير الاجتماعي ليسَ بقتلِ الطَّاغية، وإنما بعدمِ طاعته).

إنَّ الضَّعيفَ هوَ الذي يلجأُ إلى قوَّةِ اليد قبل قوَّةِ القلم، ويُثرثرُ بالتَّهديدِ يفرضُ بهِ آراءهُ فرضاً قبل حكمةِ الوعي والإقناع، وكم ممَّنَ تَحصَّنَ بإدراكٍ واهنٍ ونسَجَ حولهُ حججا من خيوطِ العنكبوت!

وحينَ ينفصلُ الرَّكبُ عنْ قافلةِ القُرَّاء، ستجدُ التَّشتُّتَ في الأفكارِ والأفعال، والشُّرودَ في تيهٍ منْ ضلالٍ أو ضعفٍ أو مسٍّ منْ جُنون.

وعندئذٍ سنفهمُ لِمَ نجدُ قوماً عندهم الدِّين، ولا يعلمونَ شيئاً عنِ الدُّنيا، وقوماً يعلمونَ ظاهراً منَ الدُّنيا ولا يعرفونَ شيئاً عن الدِّين وهم عن الآخرةِ هم غافلون.

فلا أهل الدِّين لمَّا حصَّلوا علومه جاوزوا منطقةَ الحفظِ إلى حُسنِ التَّطبيق، ولا أهل الدُّنيا لمَّا دانت لهم الدُّنيا جاوزوا منطقةَ التَّسخير إلى عملِ الشُّكرِ وحُسنِ الأَوبة!

وترتبطُ القراءةُ بالبيئةِ ارتباطاً قويَّاً، والذكي هو الذي يربط بين مفردات تراثِه ومفردات عصره على المستويين: الزَّماني والمكاني.

والقراءَةُ العبقرية هي التي تركِّزُ على بناء الإنسان قبل أيِّ بناءٍ آخر، وما منْ مجتمع يجعل بنوه بؤرة اهتمامهم البناء المادي على حساب بناء الإنسان إلا كان ما بنوه وبالاً على الإنسان.

ولم تعترف الكتب السماوية التي حرَّفتها الأيدي، وجعلتْ منَ العلم الدينِي كهانةً حمقاء، بالاكتشافات العلمية التي توصل إليها العلماء في أوربا العصور الوسطى فحاربت الكنيسة العلم، مما اضطر عالماً مثل جاليليو جاليلي إلى تغيير أقوالِه بشأن كون الأرض كوكب صغير يدور حول الشَّمس، وأنها ليست مركز الكون، إذْ أرغمته على إنكار نظرية كوبرنيكوس!

ولم تتقدَّم أوربا إلا بالخروجِ منْ عباءة الدِّين وعزله عنِ العلمِ والسياسة.

أمَّا عند المسلمين فالأمرُ مُختلف، فإنهم لم يتأخروا إلا بابتعادهم عن دينهم الذي بقيت معجزتهُ بين أظهرهم تأمرهم بالقراءَة بينما هم في سُباتٍ غافلون!

وعندما زحفَ العدو في تقدمه الدنيوي يستولي على دولهم دولةً دولةً قالَ مُعظمهم: لن ننتصر حتَّى نأخذَ بفكرهم في كلِّ شيء، ونسوا أنَّ البيئة غير البيئة والظَّرف غير الظَّرف، والدِّين غير الدِّين، فأصابهم العَور، ونسوا تسبيحهم، وقرأوا قراءةً ناقصة لم يبلغوا فيها مبلغ العدو، وانقسموا أحزاباً يرى كل حزبٍ منهم الحقَّ فيما انحازَ إليهِ منْ فكر مُقلِّداً غير ناقد، وإنَ نقد شئياً فكفعل الببغاء، يزعمُ أنَّ لهُ وجوداً بينما هو ذائبٌ في الآخر حتَّى النُّخاع.

ومن النَّاحية الأخرى هؤلاء الذين حافظوا على تسبيحهم، ولكنهم فصلوا أنفسهم عن القراءة الأخرى في علومِ عدوهم، ومنْ هنا تحول رجل العلم إلى رجلِ دين كما لو كان له سلطة على العقول التي لنْ تفكِّر حتَّى يسمح لها صاحب القداسة!

ومن هنا انفصل عقد الأمة، وعجزت القلة المُعتدلة من العلماءِ الحقيقيين عن رأبِ الصَّدع ولمِّ الشَّمل.

وأصبحت الدنيا في وادٍ والدينُ في وادٍ آخر، فانفصلت السياسة وعلوم الدنيا عن علوم الفقهِ والدِّين، ونشأت المذاهب المُختلفة منْ علمانية وليبرالية وشيوعية ورأسمالية..... إلخ. تماماً كما حدثَ في دول الشّمال، ولكن بشكلٍ أكثر رعونةً وتخلفاً.

والآنَ نحنُ نشهدُ تدهوراً ملحوظاً في أمَّتنا التي ما عادت تقرأُ إلا قليلا.

يقول الـــ أ.د عبد اللطيف الصُّوفي: (جاء في تقرير الأمم المُتَّحدة أنَّ المجموع التَّراكمي للكتب المُترجمة إلى العربية منذُ عصر المأمون "أي

منذُ القرن التاسع الميلادي" حتى اليوم، هو في حدود مئة ألف عُنوان، وهو ما تترجمه إسبانيا أو اليابان في سنةٍ واحدة! ... أمَّا إسرائيل فهي تُنتجُ سنوياً منَ الكُتب أربعةَ آلاف عنوان، ولديها مواقع على الإنترنت أكثر منَ المواقع العربية السَّاذجة، بل هي تتقدّم إلى العالم ببرامج لمعالجة اللغة العربية، وترجمتها آلياً أفضل منَ العرب! ... أمَّا عن جائزة نوبل، فإنَّ العلماء المُسلمين الذين حصلوا على جائزة نوبل خلال مئة السنة الماضية هم ثمانية علماء فقط! بينما حصلَ مئةٌ وسبعةٌ وستون (167) عالماً يهودياً على هذه الجائزة خلال الفترة نفسها! ... وأمَّا عنْ كثافةِ العلماء ففي الولايات المتحدة الأمريكية يوجد (4100) عالماً لكلِّ مليون نسمة، وفي اليابان (700000) عالماً لكل مليون نسمة، في مقابل (320) عالماً – فقط - لكل مليون نسمة في العالم الإسلامي!).

ويحضرني هنا اشتراط كثير من العلماء على القارئ لكي يصل إلى النُّضج المعرفي، والمناعة الثقافية ضد الأمراض النفسية والاجتماعية والفكرية، أنْ يكونَ قد قرأَ آلافَ الكتبِ في مدَّةٍ لا تقل عنْ خمسِ سنوات. ومعنا الطبيب الشهير الـــ أ.د. خالص مُجيب جِبلي الذي علت به الهِمَّة إلى درجةِ اشتراط ثمانية أعوام أو عشرة، يقول: (يحتاجُ المرءُ حتَّى ينضج إلى ثماني حِجَجٍ؛ فإنَّ أتمَّ عشراً فمن عنده، وما أُريدُ أنْ أشقَّ عليه كما حصل مع خدمةِ موسى في بني مدين، بجهدٍ متتابعٍ بلا انقطاعٍ، ويجمع ما لا يقل عنْ مئةِ ألف وحدةٍ معرفية وفيها يصلُ إلى النضجِ المعرفي، ويُمكن أنْ يكتب بعدَ أنْ يكونَ قد قرأ في أقل تقدير حوالي ألفِ كتابٍ، ويحذر منَ الغرور والكسلِ والاجترار).

نموذج تطبيقي للقراءةِ بالمفهومِ الجديد:

والآن تعالوا معاً لنطبّق القراءة ببعديها معاً (الكتاب والتَّسبيح) على أحد الأحاديث الهامة لخاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ:
يقول الرسول الكريم ﷺ: "إنَّ الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه منَ العباد، ولكن يقبضُ العلمَ بقبضِ العلماء، حتى إذا لم يُبقِ عالماً اتَّخذَ النَّاسُ رؤوساً جُهَّالاً فسئلوا فأفتوا بغير علمٍ فضلُّوا وأضلوا" (رواية البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص).
وإذا أعدنا قراءة الحديث السَّابق فسوفَ نخرج منه بعدَّةِ نقاطٍ هامَّة:

1. أنه لا كهانة في الإسلام، فعندنا رجل علمٍ نُطلقُ عليهِ عالماً لا رجل دين أو كاهن كما عند غيرنا.
2. أنَّ الله يغضب في آخر الزَّمان، فيقبضُ العلم لا بمحوِ الكُتب المكتوبة أو المصوَّرة سواء على الأوراقِ أو رقائق التَّخزين الإلكترونية أو في صدور منَ حصَّلها منْ خلقِه، ولكن بقبضِ العلماء الذين كانوا بأعمالهم كُتباً تسيرُ على الأرض.
3. أنَّ وجود العالم أهم منْ وجود الكِتاب في نفي الجهل عنْ الأمَّة، وأنَّ الكِتاب وحدهُ لا يكفِي.
4. أنَّ قيمة الكتاب تُستمدُّ منْ وجود العالم الذي يملك مهارات تدريسه ومرونة تطبيقه حسب المكانِ والزَّمان، وله صلاحية الإضافة والحذف والتَّجديد.
5. أنَّ النَّاس مفطورةٌ على اتَّخاذ رؤوسٍ لها من بينهم ترشدها الطَّريق، فإنْ لم تجد اتَّخذت جُهَّالاً فأضلوهم.

6. أنَّ النَّاس مفطورةٌ على التَّطبيق، فإذا أضلَّهم الجاهل، ضلُّوا وأضلوا غيرهم، وينتشر بذلك الضَّلالُ في الأرض.

كانتْ النقاط السَّابقة وفقاً للبُعدِ الأوَّل من القراءة (بُعدُ لغة العلم المشتركة الصُّغرى).

ولكنَّا إذا أمعنَّا النَّظر، وأعدنا قراءة الحديث بـــ (لغةِ العلمِ المُشتركة الكُبرى أو التَّسبيح)، فسوفَ نخرج بنقاطٍ أخرى:

1. أنَّ للكتابِ دوراً كبيراً في تخريج العلماء
2. أنَّ زيادة أو نقص عدد العلماء مؤشِّرٌ للإحساسِ بالخطَر، ومنْ هنا يجب العمل المُستمر على زيادة عدد القُرَّاء في الأمَّة.
3. أنَّ بقاء الكُتب، يحملُ بُذور نهضةٍ جديدة، ولو بعدَ حين، حتى إذا قامت السَّاعةُ فهي فسيلة نغرسها إذا استطعنا ألا تقوم حتَّى نغرسها
4. في الحديث إرشادٌ لكيفيةِ التَّصرُّف للعقلاءِ وقتَ الفِتن، وندرة العلماء، باللجوءِ إلى الكِتاب، وإنْ كانَ لا يكفي في تحقيق نهضةٍ سريعة بدونِ العالم، إلا أنه أسلم منَ اللجوءِ إلى جاهلٍ مُضل
5. لا ينفي الحديث إمكانية تكوين عالِمٍ جديد منْ خلالِ الكِتاب، وإن استغرقَ هذَا وقتاً
6. في الحديث دعوة إلى التوبة، واللجوءِ إلى الله، وكثرة الدعاء، فالدعاءُ قدَرٌ يدفعُ قدَراً.

ونحنُ في أمس الحاجة للقراءة بهذا المفهوم الجديد الذي نُخرج به قوانين المعرفة، ونكشف كذلك مكنوناته غير الظاهرة ما في وسعنا أنْ نكشفها، وسيساعدنا هذا بالتأكيد على فرزِ حكمتنا المنسوجةِ بنولي الفهم والحفظ، وعندئذٍ نكون رُسُلَ علمٍ يفتح الله لنا وبنا ويجعل لنا شأناً ورايةً خفَّاقة نحميها بكلِّ ما نملك منَ السقوط حماية أنفسنا منَ النكوص.

القراءة والذكاء

يقول جون لوك: "إنَّ القراءة لا تمد العقل إلا بمواد المعرفة البحتة، لكن التفكير هو الذي يجعل ما نقرأه ملكاً لنا".
إذا قرّر أحدٌ أنْ يكونَ ذكيّاً، فلن ينفعه إعلانٌ غاضب ولا تقليدٌ أعمى لمن اتّصفوا بالذكاء، دون استعدادٍ ودراسة للأرضية، ووضع خطّةٍ تُناسبُ وضعه مع التَّدريب على التطبيق المرِن والتقويم المُستمر.
وأولى الخطوات هي الوعي بالجوّ المُحيط، مع التفكير في كيفية الخروج منْ أزمة التقدم البطيء.
يذكر الـــــ د. ساجد العبدلي في كتابه (القراءة الذكية) تقريراً لمنظمة اليونسكو نُشرَ في العام 1996م كان نصُّه: (أنه يصدر في مصر ما يُقارب من 1650 كتابٍ سنوياً، بينما يصدر في بريطانيا ما يُناهز 48000 كتاب في ذات الفترة، وفي روسيا ما يناهز 82000 كتاب، وفي الولايات المتحدة ما يقارب 85000 كتاب، لكنَّ الكارثة الأكبر أنَّ ما تطبعه دور النشر العربية مُجتمعة من المحيط الهادر إلى الخليج الثائر في كل عام لا يُوازي نصف ما تطبعه المطابع الإسرائيلية في نفس الفترة!)
ونشرت عربية Sky news تقرير التنمية البشرية لعام 2003م الصادر عن اليونسكو يفيد بأنَّ كل 80 مواطناً يقومون بقراءة كتاب واحد في السنة، في حين يقرأ المواطن الأوربي نحو 35 كتاباً.

والقراءة بالتالي هي الداءُ والدواء معاً؛ فهي الدَّاء لأنها ستكشف الأمراض والضَّعف للغافل عنها، وهي الدواءُ لكونها تُقدِّم وسائل الإصلاح للآخذِ بها.

ويقدِّم الـــــ د. ساجد العبدلي ما يُسميه بخماسية فن القراءة، حيثُ يُجيب القارئ على خمسة أسئلة، وهي: (ماذا اقرأ؟ / ولماذا أقرأ/وأين أقرأ؟ /ومتى أقرأ؟ /وكيف أقرأ؟) ثمَّ يُحدثنا عن أساليب عدة للقراءة منْ أهمها (المسحية الاكتشافية/ والعابرة/ والدرسية/ والسريعة/ والمحورية/ والترويحية).

فالقارئ يختار الأسلوب الذي يُناسب هدفه، فإن كان يريد الظفر بالفكرة العامة للكتاب، فسوف تناسبه المسحية، وإن كان يريد انتقاء معلومةٍ بعينها فستناسبه العابرة، وإن أراد أن يحلل كل ما حواه الكتاب من دلالات ومعاني وأبعاد، فعليه بالقراءة الدرسية، وإن قصدَ الانتهاء من قراءة العديد من الكتب في وقت أقل فسوف يحتاج إلى القراءة السريعة، وهناك القراءة المحورية التي ينفتح من خلالها على العديد من التَّخصصات، والقراءة الترويحية التي يحتاج إليها في أوقات فراغه فيختار ما يحب من القصص والروايات المفيدة.

والقارئ الذكي كما (يوضِّح الـــــ أ.د. سعد بن عبد الرحمن البازعي يعلم للقراءةِ مراحلها، فينتقل من التأسيس المعرفي إلى مرحلة التوجيه الفكري والبحثي إلى التوسُّع الذي لا نهاية له، ويكوِّن له ولأسرته مكتبة منزلية تركز على الكيف لا الكم).

والقارئ الذكي يراقب تراجعه وتقدمه، ويقف على الأسباب وراء كلٍّ منهما، ويعلم ما يُحفزه وما يثنيه، وكيف يصرف المشتتات عنه، ويختار أفضل الأوقات والأماكن لقراءته.

وقد قدَّم الـــ أ.د. خالص مجيب جبلي في محاضرته الطويلة تحت عنوان "قوانين البناء المعرفي" ((عدة قوانين لهذا البناء استقاها منْ قراءاته وأضاف إليها الكثير، من أهمها: 1) الكتاب الجيِّد يُقرأ عديداً من المرَّات مثل كتاب: تجديد التفكير الديني لمحمد إقبال، واليابان تقول: لا لشينتارو إيشيهار، ومختصر دراسة التاريخ لتوينبي، والعبودية المختارة للكاتب الفرنسي جان لابواسييه، وآفاق المستقبل لجاك أتالييه، ومسألة الآخر "اكتشاف أمريكا" لتزفيتان، وعندما تغير العالم لجيمس بيرك. 2) تقليم الأفكار وتقليم الأشجار؛ فالأفكار تشبه الأشجار نمواً وذبولاً، ومثل النباتات تحتاج لتنميتها أن نمدها بسمادٍ ونور وماء، والعلم ينمو بآلتي الحذف والإضافة. – ويشبه الـــ د. جلبي أمراض الأفكار بأمراض الأبدان، مثلما حصل مع فكر الخوارج، والذي يحصد منْ حين لآخر مثل طواعين العصور الوسطى، ويقول: إنَّ الأفكار القوية مثل الشجرة الطيبة، وإنَّ الأشجار تتأخر في النمو، لأنها تؤسس جذورها تحت الأرض قبل أنْ تبزغ فوقها بفروعٍ خضراء زينةً للناظرين. 3) للكتاب أثرٌ نفسي على القارئ؛ فأنت عندما تقرأ كتاب: ميلاد مجتمع لمالك بن نبي، وكيف تموت المجتمعات، وترى حولك الإعلام الغربي وهوليود المشغولة بأفلام الجنس والإباحية، والضرب والقتل، فسوف يؤلمك تأخر مجتمعاتنا عن تداويها من أمراضها، ويقول الـــ د. جبلي: إحدى مشكلات الشلل العقلي في العالم الإسلامي الانقطاع عن المعرفة، وإعادة الالتحام بعربة التغير الاجتماعي، ويقول: ما أفقر الإيمان بدون معرفة، ولذا بدأ القرآن حملة التغيير بكلمة (اقرأ)، ولا سبيل لدينا إلا بالعمل بها كما ينبغي. 4) المعرفة في طبيعتها تشبه تركيب المُخ بالأبعاد الثلاثية "بالعمق والسطح"، يقول جبلي: ".. فالطبيب مثلي لو بقي في حقول

الطب، لما أدرك العمق الفلسفي في الطب، ولكن اشتغالي بحقول معرفية أُخرى جعلني أضع كتابي حول الطب والفلسفة، أو الوصايا العشر في الجراحة أو التقدم العلمي والإيمان ..إلخ، ويقول: "كما كان الإنسان خليطاً من الغرائز والعواطف والأفكار، كذلك كان النسيج الفكري، فوجب رفده دوماً بما يجعله في أبهى حُلَّة"، ووضَّحَ أنَّ العلوم تتشابك في رحلة مستمرة؛ فهذا ديموقريطس عندما قال بالمبدأ الذري، أصبح قوله سباقاً في رحلة العقل أكثر منْ ألفي سنة، حتى أثبت أوتوهان الألماني نظريته وضدها بإمكانية انشطار الذرة، ومنها جاءت الطاقة، والسلاح النووي ..إلخ. 5) السماع والنطق والقراءة والكتابة هي منافذ الفهم والإيمان والكفر والهدى والضلال، ويقول الــ د. جبلي (نقلاً عن أحمد أمين في كتابه/التاريخ العقلي عند المسلمين): "إنه لو بقي تيار العقل والنقل يُعدِّل بعضهما بعضاً بين جُموحٍ وفرملة، لكُتبَت للعالم الإسلامي مصيرٌ مُختلف". 6) لابد من عروج القارئ على الكتب التي غيرت في فكر قطاعٍ كبير من البشر، مثل: نقد العقل الخالص ونقد العقل العملي لإيمانويل كانط، وبحث في النظامين لغاليليو وكتب جون لوك وسبينوزا وكتاب عن أصل الأنواع لدارون، ورأس المال لكارل ماركس، والكتاب الأحمر لماوتسي دونج، والأخضر للقذافي، والكتاب الأسود لستيفان كورتوا...إلخ. 7) قانون {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ}؛ حيث يساعدك القلم مع الكتاب على أفكار جيدة، مثل قراءة كتاب 33 قاعدة استراتيجية للحرب لروبرت غرين. 8) تتطلَّب العبقرية سنوات للنضج، وعندئذٍ سننجو من منظومة الثنائية في النظرة، ونعمل بمنظومة الطيف بعيداً عن الاستقطاب، فالأشياء في طبيعتها – كما يقول مالك بن نبي - تسبح في طيفٍ من الممكن والصعب والمستحيل. وقد كان سقراط ينظر

إلى ذباب الخيل أنَّه يُهيِّج الخيل فيطرد عنها الخمول، ورأى توينبي مصيبة إسرائيل أنها رحمةٌ للعرب كي تخلق عندهم تحدِّي النهوض. 9) القارئ الجيِّد صيَّادٌ للكتب، ولو بلغة الماندرين واليابان والطليان والسويد.. إلخ. مثل كتاب الطب التجريبي لكلود برنار، والخواطر لبسكال، والإنسان يبحث عن المعنى لفيكتور فرانكل، والشيفرة الكونية.. إلخ؛ فالكتاب هو أكبر غزال وأعظم لؤلؤة. 10) لابد من تعلُّم لغة أجنبية؛ لأنَّ أمكنة الإنتاج المعرفية غربية في معظمها. 11) لابد من تنشيط مفاصل الفكر في العلم العربي عبر مؤسسات تفكير إسلامي يطرح تفسيراً عصرياً للقرآن الكريم. 12) بعض المسائل العويصة يحلها الدماغ في فترات الراحة. ويقول الـــ د. جبلي: "وقد قرأت كتاب قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن لنديم الجسر، فاستشكل عليَّ! 13) قانون ينابيع المعرفة؛ فالقراءةُ بأقلام أصحابها مباشرةً يجعلك تتعامل من المنبع، وللكلمات طبيعة فوق أرضية. 14) قانون العودة للطفولة مع الفلسفة، بكثرة السؤال. 15) بالمسح الراداري للعصر والتعرف على المدارس المعرفية نتعرَّف على الاتجاه العام للعلم، ونكون مؤهلين لتشكيل النسق المعرفي الخاص بنا. 16) حتى تؤلف كتاباً اقرأ خمسةَ آلاف؛ فإنَّ ديورانت لم يكن ليكتب قصة الحضارة إلا بعد قراءة خمسة آلاف كتاب، وقد حبسَ كارل ماركس نفسه 10 أعوام في مكتبة لندن قبل أن يخرج علينا بكتابه رأس المال، وابن خلدون انعزل في قلعة عريف في المغرب ليكتب مقدمته. 17) الحرف كتابة، والكتابة هي الذاكرة الجيِّدة. 18) صناعة الرَّاسخ في العلم تحتاج إلى نُضجٍ واطلاعٍ واسع وخبرة ميدانية كثيفة. 19) طلب العلم ضد البخل به. 20) الأفكار تتلاقح وتتكاثر، والزواج بينها غير مُحاصر)). (انظر

كتاب تجاربهم في القراءة، لمجموعة من الباحثين والأكاديميين والمفكرين، نشر: مكتبة الملك عبد العزيز العامة – الرياض ط 2012م).

وقد قدَّم الـــ د. طارق السويدان والـــــ أ. فيصل عمر باشراحيل في كتابهما الرائع (كيف أقرأ؟) (العديد من تقنيات القراءة الذكية، تلخصها هذه النقاط: 1) التحديد والتدقيق عبر "الهدف والسرعة والمعرفة والخطة" 2) الاكتشاف والربط عبر "الأفكار الرئيسية والثانوية/والربط بين الحقائق بطرقٍ عدة منها: الخط الزمني في التاريخ والعلوم السياسية، والرسم الشجري للنصوص الأدبية والعلمية، والرسم البياني الدائري في العلوم الصعبة/والتدوين الكتابي للتركيز/والصورة الكلية عبر "نقطة التثبيت، ودمج الكلمات/والخرائط عبر "سياق الكلمات ورؤية الأشكال وبناء الموضوع، ومنها: الخريطة الذهنية وشجرة الأفكار). - ويستطيع القارئ الرجوع لهذا الكتاب للإلمام بتطبيقاتها -.

ولمَّا وجد العلماء أنَّ العقل يسبق العين، وأنَّ العينين لا تقومان بالقراءة العقلية، قالوا بوجوب تدريب العينين على الرؤية المحيطية الشاملة لزيادة سرعتها في التقاط النصوص، مما ينعكس على زيادة السرعة في كلٍّ من الاستيعاب والقراءة معاً، ومن هنا ظهرت كتبٌ عديدة تُعالج هذه المسألة، منها: كتاب (القراءة التصويرية للمستشار/جمال الملا) وكتاب (القراءة السريعة لـــــ/توني بوزان) وكتاب (كيف أقرأ؟) سالف الذكر، وغيرها الكثير.

ويقول المستشار جمال الملا في كتابه/القراءة التصويرية: (((تقول الإحصاءات أنَّ من 11:4% من النص يحمل المعنى الأساسي، ولذا لم تعد القراءة التقليدية تُناسب عصرنا، ومن هنا جاء طرح القراءة

التصويرية كاستراتيجية بديلة تختصر الوقت، وتضاعف فهمنا وتذكرنا، فهي تتجاوز الإمكانات المحدودة للعقل الظَّاهر، بإشراك الذِّهن كله، وتوسيع مجال الرؤية، بما يُنمي التدفق الذهني ويجمعنا بعبقريتنا الخاصَّة)، وقدَّم في كتابه هذا خطوات تعلم هذه التقنية، وتختصرها هذه النقاط: 1)الإعداد الشامل لتحديد الهدف، ويشمل أساليب: "طرح الأسئلة، والدخول في حالة التعلم، وأسلوب الليمونة والإصبع الطائر" 2)النظرة الشاملة، وتشمل القراءة الأولية، والكلمات الرئيسية وهي بين 25:20 في الكتب، والمراجعة" 3)القراءة التصويرية بمعالجة المعلومات على مستوى العقل الباطن 4)التنشيط، ويكون بـــ "طرح الأسئلة، والقراءة اللمحية، والقراءة القافزة، والخريطة الذهنية 5)القراءة المتسارعة: "تطبيقها وتفعيلها ودمج مهاراتها، والجمع بينها وبين القراءة النقدية...إلخ)).

ونرجع إلى الـــــ د. طارق السويدان والـــ أ. فيصل عمر باشراحيل في كتابهما (كيف أقرأ؟) ((فقد قدَّما تقنيات تسعاً لتحريك العين على الصفحة، وهي: 1) المُتعرِّج 2) المتغيِّر 3) المُنعكس 4) حرف الـــــ S 5) الأسفل 6) اللَّولبي 7) الرأسي 8) المزدوج 9) الكسول. ...، ... وقدما كذلك تقنيات تسعاً لليد، والتي لها دورٌ كبير في تركيز الانتباه، وتقليل التراجع والانتكاسات، وإضافة إيقاعٍ يُشرك النصف الأيمن من المُخ في القراءة)).

وقدَّم الـــــ د. ساجد العبدلي إرشادات أساسية للقراءة الذكية مُلخصها: 1) عدم الابتعاد عن الهدف 2) التفاعل مع الكتاب، سواء بالدخول في عالمه، ورسم صورة ذهنية، والتأشير بالأقلام والورق الملون،

والتلخيص الهامشي، واستخدام الرموز والعلامات مثل (؟ و! و + و= و * و @ و ^ و# و$ ...إلخ).
كما قدَّم الــد. ساجد برنامجاً للقراءة الجادة تلخصه النقاط التالية:
✓ (اختر الوقت المناسب للقراءة
✓ اختر المستوى المناسب
✓ نوِّع قراءتك
✓ حدِّد أهدافك.

والقارئ الجيد يتَّصف بـــــ/
✓ المثابرة على القراءة
✓ استيعاب الجديد
✓ اختيار الكتاب النَّافع
✓ الحكم على أهمية كل كتاب على حدة).

والقارئُ الذكي يعطي القصص والروايات 10% منْ قراءاته، ويعطي مجال تخصصه 50% على الأقل، ويخصص باقي النسبة للمجالات الباقية بالتنوع.
والقارئ الذكي قارئٌ يهتم بصحته، فهو يحافظ على نوعٍ ما من أنواع الرياضة ولو لنصف ساعة يومياً كحدٍّ أدنى.
والقارئُ الذكيُّ قارئٌ يهتمُّ بذاكرته، ودائماً ما يقرأ في كتبٍ داعمةٍ لها، ومن الكتب التي أعجبتني في هذا المجال: كتاب الذاكرة الفائقة لغريغور تشاوب، وسوف تجد عزيزي القارئ مُلخصاً له في آخر الكتاب.
وقد قدَّم تشاوب في كتابه طرقاً مبتكرة للذاكرة السريعة عن طريق اللوائح التي تصنع ارتباطات داخل المخ، كما استعمل طريقة الحفظ عن

طريق القصة ببراعة فائقة، وقد استخدم هذه الطريقة المُبدع أشرف غريب في كتابه (القراءة السريعة بأسلوب النجمة) في حفظ ألوان قوس قزح الطيفية مُرتبة "الأحمر، البرتقالي، الأصفر، الأخضر، الأزرق، النيلي، البنفسجي"، فقال: (ارسم قصة منْ نسيج الخيال تصور هذه الألوان، تخيَّل أنَّ أمامك إبريق شاي كبيراً جداً لا يُمكن إخراجه منْ باب الغرفة التي تجلس فيها ولونه أحمر، وهذا الإبريق يغلي ويخرج منه برتقالٌ كثير جداً بدل البخار، وتخيّل أنَّك أمسكت برتقالةً حارةً جداً وحاولت أكلها، فخرج منها ليمون أصفر كثير كثير وحامض جداً جداً ، وتخيل أنَّ الليمون عصارته خضراء، وأنت تعصر الليمون في كوبٍ أزرق كبير بحجم إبريق الشاي، وهذا الكوب يضئ ليظهر لونه نيلياً، وعندما تناولته لتشرب الليمون الحامض تحوَّل لونُك إلى بنفسجي).

حيثُ يسترجع ناسج القصة بعد ذلك هذه الألوان مرتبةً، دون الرجوع للقصة، وكان غريغور يستعمل هذا الأسلوب مع دمجه بلائحة الشجرة أو الجسد، مما يجعله أكثر تثبيتاً، وقد جرَّبتُ شخصياً هذه الطرق، فوجدتها مُجديةً للغاية.

وفي عصر طوفان المعلومات، وجب على الأذكياء أن يركبوا سفن التقدم، وأن تكون لديهم مهارة الفرز السريع للمعلومات، في سياجٍ من المرونةِ والخبرة.

ولابد من إشراك التكنولوجيا وبقوةٍ في تثقيف الشعوب العربية، وأنْ يُنظر إلى تجارب الدول.

ونقلاً عنْ مجلة الصين اليوم، يونيو 2023م، فإنه في تاريخ 12/أغسطس/2020م: (أُقيم معرض شانغهاي للكتاب بعنوان: "أُحب القراءة، أُحب الحياة"، حيثُ قدَّم تطبيق ميقو التابع لمجموعة China

Mobile خدمات القراءة على الإنترنت بتكنولوجيا الجيل الخامس، والقراءة بتكنولوجيا الواقع الافتراضي لاجتذاب الزوَّار).

وهي تجربة من الممكن الاستفادة منها وتطبيقها بمعارض الكتب في بلادنا.

وهناك الكثير من التطبيقات المتعلقة بالكتاب الإلكتروني وإمكانية الحصول عليه عبر ملايين الكتب في ثوانٍ معدودة، مثل تطبيق Kindle مع إمكانيةٍ رائعة تتعلَّق بتحديد العبارات الهامَّة، ونسخها ولصقها، وكتابة التعليقات ووضع العلامات...إلخ.

****

القراءة والسرعة

لقد نهضت أمتنا منْ قبل على يد جيلٍ عرفَ قيمةَ القراءة، ومهر فيها إتقاناً وسرعةً، وجدَّدَ وأضاف.

(ويقول الـــــ د. أحمد محمد السَّعدي نقلاً عن كتاب (صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتَّحصيل لعبد الفتاح أبو غدة): أنَّ الحافظ الهروي شيخ خراسان في عصره كان يقول: "المُحدِّث يجب أن يكون سريع المشي، سريع الكتابة، سريع القراءة"، وقد سبق سلفنا مناهج العلم الحديثة في تسريع القراءة، فهذا مجاهد أحد مفسري القرآن كان كما روى أبو داوود عنه يقرأ ختمة بين المغرب والعشاء، وورد في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي أنَّ الحافظ بن حجر قرأ خلال إقامته في دمشق أكثر من مئة مُجلَّد، وأنَّ ابن دقيق ربما استوعب الليلة فطالع المجلَّد أو المجلَّدين).

والآن لا نتحدَّث عن أمتنا، وإنما عن غيرنا منْ مشاهير الغرب الذين سبقونا بمراحل، حيث نأخذ بعضاً من الأمثلة الكثيرة التي أورداها المبدعان الـــ د. طارق السويدان والـــ أ. فيصل عمر باشراحيل في كتابهما (كيف أقرأ؟):

1. ((الرئيس الأمريكي فرانكلين دي روزفلت، كان يقرأ فقرةً كاملةً في لمحة واحدة، وينتهي من قراءة كتابٍ في جلسةٍ واحدة
2. وقرأ يسي لويل بحثاً لإيفيلين وود الذي بلغت صفحاته 80 صفحةً في 10 دقائق؛ لأنه كان يقرأ ألفين وخمسمئة كلمةٍ في الدقيقة الواحدة 2500ك/د
3. الرئيس الأمريكي جون كينيدي كان يقرأ 1200ك/د، وكان يقرأ الكتاب كاملاً قبل وجبة الإفطار، وقرأ شرح الدستور الأمريكي في ليلةٍ واحدة

4. وصلت فاندا نورث الثالثة على العالم في مجال القراءة لعام 2021م إلى 3000/د، وشون آدم الحائز على لقب أسرع قارئ في العالم إلى 4500ك/د)).

وفي عصر السرعة الذي نحياه الآن وتدفق المعلومات بشكلٍ لا نستطيع مُجاراتِه، وصدور آلاف وملايين الكتب في زمنٍ يسير، فقد بات من الحتمي للحاقِ بالركب أنْ يمتلك أفراد الإنسانية مهارة السرعة في طي الكتب طيَّاً دون الإخلال بإدراك مضمونها، وصيد بعض تفاصيلها الهامة.

ففي إحصائيات أوردها الـــ د. ساجد العبدلي: تخبرنا بأنَّ (الولايات المتحدة وحدها تُصدر خمسين ألف كتابٍ في العام الواحد، وهي تصدر أكثر منْ عشرة آلاف مجلة، كما أنَّ هناك سبعة آلاف دراسة علمية تصدرُ يومياً في عالمنا، وأنَّ كمية المعلومات المتوفرة في الكرة الأرضية تتضاعف كل خمس سنوات، ونحو 90% من جميع المعارف العلمية قد تمَّ استحداثه بالكامل في العقود الثلاثة الأخيرة فقط!).

والآن نحنُ بحاجةٍ ماسة لتطوير سرعة قراءتنا أكثر منْ أي عهدٍ مضى، وبخاصةٍ بعد أن أثبتت العديد من الدراسات أنَّ مستوى الاستيعاب يزداد بازدياد سرعة القراءة، وأنه يجب تركيز القارئ على المعنى الشَّامل، فلا يقف عند حدود الألفاظ والجمل؛ فهذا سيبطئ من قراءته واستيعابه.

ويحدد أشرف غريب المقدار الأدنى من الكلمات التي يصل إليها المُبتدئ بالتدريب الأوَّليّ لنصفه بأنه يقرأ سريعاً، فيقول بأنها تبدأ بالقدرة على قراءة 350 كلمة في الدقيقة الواحدة، ثمَّ أنها تأخذ في النمو حتى تصل إلى 2000/د و2500/د، وباستخدام أسلوب النجمة الذي قدمه بالإمكان الوصول إلى قراءة 3000/د!

ويتلَّخص أسلوب النجمة الذي قدَّمه أشرف غريب في كتابه (القراءة السريعة بأسلوب النجمة) في النقاط التالية:

1. القراءة بالعقل، وذلك دون توقف وبسرعاتٍ مُختلفة عبر (الإشارة واللمس والنظر والأُذن)
2. التأشير، باستخدام العلامات (القلم الرصاص والأوراق الملونة) والترميز، وصياغة العناوين صياغة جديدة
3. الاستيعاب: منْ خلال تحديد أنواع الجمل (بسيطة وضمنية ومعقدة)، والأفكار الرئيسية، والكلمات المفتاحية، واستخدام تقنيات مثل: (الهرم المقلوب، والنحلة والفراشة)
4. تقنية الذَّاكرة: والتي يختصرها مثلث (الربط والخيال/ والتكرار/ والتنظيم)، ويقول أشرف غريب: (الذاكرة غير المستخدمة تضعف مع الوقت، وقد قدَّر العلماء حجم المعلومات التي يمكننا حفظها بالرقم (واحد) أمامه 79 صفراً أي بما يُعادل 90 مليون مُجلَّدٍ!)
5. التِّكرار (السماعي والحسِّي واللفظي).

ووضح الـــ د. ساجد العبدلي عواملاً عدة تعمل على التقليل من سرعة القراءة، وذكر منها: ((1) قراءة كل كلمة على حدة 2) القراءة بصوتٍ مرتفع، بينما القراءة الصامتة أسرع وأكثر تثبيتاً للمعاني، وأفضل للفهم 3) القراءة بالتحريك الخاطئ للعين، ويمكن تفاديه باستخدام الدليل البصري مثل اليد أو القلم أو المسطرة 4) ضعف التركيز 5) قلة ممارسة القراءة.)، وبالتالي فعوامل تسريعها بالأساس، ستكون من خلال:

- ✓ استخدامك للدليل البصري
- ✓ توسيع مجال نظرك
- ✓ أن تعيش مع المؤلف وأفكاره
- ✓ ألا تتقيد بسرعة مُعينة

❊❊❊❊

القراءة والحريَّة

يقول العقَّاد: "يقول لك المرشدون: اقرأ ما ينفعك، وأنا أقول لك: انتفع بما تقرأ".
كما أنَّ لديك القدرة على اختيار ما تقرأ، فكذلك لديك القدرة على اختيار ما تفعل، ولكنَّ الحرية المطلقة، ستجعلكَ عبداً لضعفك أمام هوي زيَّنتهُ رغبةٌ فانية.
فربما منْ أجل المال أو الشهرة تدفقت مع التيار في بلاهةِ الباحث له عن مكان كيفما اتفق.
وكم من مفكرين وموهوبين قدموا أعمالاً أدبية تحثُّ على الإباحية، وهم يدَّعون أن مهمتهم كشف الواقع كما هو للناس، ولا حياء في كشفِ الحقائق!
ولكنهم يعلمون جيداً أنهم يُزيدون المرض أكثر.
إنَّ الكاتب الجيّد هو الذي يورِّي في عتابه، ويكشف الأمراض دون أن يدغدغ الشهوات، ويذبح الفضيلة.
إنَّ الكتب الضَّارة، يجب تحذير العامةِ منها، وإنْ كان لا بأس باطلاع الخاصة من أهل العلم عليها لتشخيص الفكر الفاسد، والرد عليه، حتى لا ينخدع الناسُ به، فيضلون الطريق.
ولكنَّ قراءة التَّسبيح تطلبُ المغامرة لاستخراج الترياق من السم، وهؤلاء خاصة الخاصة، والذين هم - كما يقول الـــد. عبد الله محمد الغزامي - يُغامرون بالصعود إلى النخلة لقطفِ التمر، مع وجود احتمال لسقوطهم وموتهم!

ومنْ ناحيةٍ أخرى قد نجد الكاتب الجريء في الحق، وقد وضع نفسه في البقعة السَّاخنة من الأحداث، يكشف الفساد في لغةِ الأبطال المُخلصين بالتحريض على الظلم والفساد والثورة عليه؛ فإذا بالسلطات تمنع كتبه منَ الرواج، ولكن أي منعٍ والممنوع مرغوب! وأيُّ منع والمجتمع المنفتح الآن تطير فيه الأشياء منْ مكان إلى آخر في سرعةٍ عجب!

وقد وردَ عن المسيح: ("لا تكنزوا كنوزاً على الأرض حيثُ يُفسدُ السُّوسُ والصَّدأُ، وحيثُ ينقبُ السارقون ويسرقون. بل اكنزوا لكم كنوزاً في السماء، حيثُ لا يُفسدُ سوسٌ ولا صدأٌ، وحيثُ لا ينقبُ سارقون ولا يسرقون"). (مت 21:20/6).

ويقول الـــــــ/ الــ د. خالص مُجيب جلبي: (إنَّ الكتاب إذا مُنع من الباب يدخل من النَّافذة)، ويقول: (... ومن الطرائف أنَّ أحد أمراء بني أُمية، وكان أميراً لديه نقصٌ في تفكيره، وقد ضاعَ له صقرٌ في المدينة، فأمر أن تُغلق أبواب المدينة حتى لا يذهب الصقرُ بعيداً! ونسي أنَّ الصقر يُحلِّقُ في الفضاء!).

والآن سندرك لماذا اهتمَّ عالمٌ كالإمام أبي حامد الغزالي بمعالجة أسباب القابلية للانهزام، وسكت عن المطالبة بمقاومة المُحتل الصليبي، مُركزاً على مُعالجة أمراض المُجتمع، وهدم الأفكار الضَّالة، ومن هنا كان كتاباه (الرد على الباطنية)، و(تهافت الفلاسفة) يُناسبان كثيراً الأوضاع الدائرة.

****

القراءة والتواضع

{وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً} (الإسراء 85/17)
ربما تحذلقَ البعضُ، وقالَ: لماذا نطلبُ العلم؟ إذا كانت صفة الجهل ستظلُّ لصيقةً بنا، ولكن أهل البصيرة، سيخبرون هؤلاء، بأنَّ الإحساس بالجهل لا يكون إلا عند العلماء الذين اتَّسعت دائرة جهلهم باتساعِ دائرةِ علمهم، وهم لنْ يزدادوا إلا ليعرفوا عجزهم أمامَ قدرةِ ربهم الأعلى، وعلمه الأكبر، ومنْ تواضعَ لله رفعه.
جاء في كتاب (القائد نور الدين محمود زنكي "شخصيته وعصره") لـــ/ الـ د. علي محمد الصلابي: أنَّ أبا شامة روى: أنَّ إماماً لنور الدين محمود رأى ليلة رحيل الفرنج منْ دمياط في منامه النبيَّ ﷺ، وقال له: أعلمْ نور الدين أنَّ الفرنج قد رحلوا عن دمياط في هذه الليلة.
فقال: يا رسول الله، ربما لا يصدقني، فاذكر لي علامةً يعرفها.
فقال: قل له بعلامةِ ما سجدت على تل حارم، وقلت يا ربْ انصر دينك، ولا تنصر محموداً، منْ هو محمود الكلب حتَّى يُنصر.
قال: فانتبهت ونزلت إلى المسجد، وكان من عادة نور الدين أنه كان ينزل إليه بغَلَس، ولا يزال يتركَّع فيه حتَّى يُصلي الصبح، قالَ فتعرضت له فسألني عن أمري، فأخبرته بالمنام، وذكرتُ له العلامة إلا انني لم أذكر لفظة الكلب، فقال نور الدين: اذكر العلامةَ كلها، وألحَّ عليَّ في ذلك، فقلتها، فبكى – رحمه الله – وصَّدقَ الرؤيا.
يقول الراوي: فأرَّخت تلك الليلة، فجاء الخبر برحيل الفرنج بعد ذلك في تلك الليلة).

تدلُّ الرواية السابقة على انشغال القائد بأمر رعيته، ورجوعه المُستمر إلى ربِّه مُنكراً ذاته، مُقدماً يقينه على ربه في كلِّ نازلة، وهي قراءة المتواضعين الذين تملكتهم لغة العلم المشتركة الكبرى، ولم تُثنهم لغة العلم المشتركة الصُّغرى أو تصيبهم بالغرور، فيعتمدون على عقلٍ قاصر، أو مالٍ هالك، أو مُلكٍ زائل، أو عرضٍ حائل أو هوى مُطغٍ أو مُتَّبع.

والعطاءُ والنَّصر دائماً ما يأتي للأوابين، كثيري التوبة والرجوعِ إلى ربِّهم.

ورغم أنها (رؤيا) ولا يُؤخذ بها تشريعاً، إلا أنه يؤخذ بها في الترقيق والعظة، والرؤيا الصالحة بُشرى المؤمن في الدنيا، يراها، أو تُرى لَه.

يقول الحقُّ سبحانه: {اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ} (ص 17/38).

ويقول سبحانه: {وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} (ص 30/38).

وقال سبحانه: {رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا} (الإسراء 25/17)

والأوَّاب.. صيغة مبالغة، تدلنا على أنَّ الموصوفين بهذه الصفة رجَّاعون إلى ربهم في كل كبيرة وصغيرة، ولا يتِّصفُ بهذه الصفة إلا المتواضعون لله منْ أهل تقواه وخشيته، وقد دخلوا من هذا الباب محراب العلم النوراني، وعندئذٍ فسوفَ تخدمهم الكُتب، وتعطيهم أكثر بمقدار هذا التَّفتُّح عندهم.

****

القراءة واللغة

تُعرفُ العصور التي سبقت اكتشاف الكتابة بعصور ما قبل التاريخ؛ وعليه فقد بدأ ميلاد التاريخ على يدِ الكتابة، والتي عن طريقها بدأ التدوين، بلْ قُل: إنَّ القراءةَ أخذت بُعداً هامَّاً منْ أبعادها بشكلٍ واضحٍ في الوجود، وهو بُعدُ لغة العلم المشتركة الصُّغرى.

ولكن من المُرجَّح أنه كانت هناك إرهاصات لاكتشاف التَّرميز لبعض الكلمات، وإنْ كانت محاولات شديدة التواضع دلَّت عليها بعض الأساطير.

يقول البرتو مانغويل في كتابه (فن القراءة): (حين ابتُلي سكَّان ماكوندو "وهي مدينة أسطورية" بمرضٍ شبيه بفقدان الذَّاكرة، أصابهم ذات يومٍ أثناء عزلتهم التي دامت مئةَ عامٍ، أدركوا أنَّ معرفتهم عن العالم كانت تختفي بوتيرة مُتسارعة، وأنهم قد ينسون ما تعنيه بقرة، أو شجرة أو بيت. الكلمات فقط - كما اكتشفوا هم - يُمكن أنْ تكون هي الترياق؛ كي يتذكَّروا ما كان عالمهم يعني لهم. عندئذٍ كتبوا بطاقات وعلقوها على الأشياء: هذه شجرة، وهذا بيت، وهذه بقرة ومنها نحصلُ على الحليب الذي يُمزجُ معَ القهوة فيعطيك كافيه كُون لِيشِ "قهوة بالحليب بالإسبانية").

ومن المعروف تاريخياً أنَّ أوَّل ابتداعٍ للكتابة منْ قِبَلِ الإنسان، كانَ في بلاد الرافدين عام 5000 ق.م، وقد أخذت تتطوَّر حتى تبلورت في صورةٍ مُتقدِّمة من الابتكار، يُطلق عليها الكتابة الهيروغليفية عام 3400 ق.م في مصر، والكتابة المسمارية عام 3600 ق.م في العراق.

ومهَّد ذلك لظهور الأبجدية الذي سبقت به البلاد السامية كل بلاد العالم، على يد الفينيقيين الذين قدَّموا أوَّل أبجدية عرفها العالم حوالي عام 1050 ق.م.

وعن طريق الكتابة وُلد الكتابُ الذي قلَّصَ اكتشافُ الأبجدية حجمه، وبدأت المكتبات في الظهور والانتشار.

وسافرت الكتب ومعها العقول منْ بلدٍ إلى بلد، ودخلت في ملاحم الحرب والسلام، يُقدرها الحكماء، ويُهينها كلُّ همجيٍّ أرعن.

يقول الـــــ د. راغب السرجاني: (حرق المغول مكتبة بغداد التي كانت أعظم وأشهر مكتبة على وجه الأرض عام 656 هـــ، وقبلها قام نصارى الأندلس بحرق مكتبة قرطبة عام 636 هـ، فخسرنا الكثير من المُصنَّفات والنفائس في شتَّى فروع المعرفة).

ومن قبل تدمَّرت مكتبة الإسكندرية (المكتبة العظمى) حرقاً عام 48 ق.م على يد يوليوس قيصر، والتي تمَّ إعادة بنائها عام 2002م تحت اسم (مكتبة الإسكندرية الجديدة).

وفي عصرنا الحالي أطلقت الحكومات تحت إشرافِ وزارات ثقافتها صيحةَ الاهتمام بالمكتبات والكتاب، وأقامت مهرجانات ومسابقات القراءة العديدة؛ ففي مصر وجدنا من قبل حملة مشروع القراءة للجميع (مكتبة لكل أسرة)، ثمَّ وجدنا التعاون والتمويل الإماراتي لمشروع تحدِّي القراءة العربي؛ لتشجيع التلاميذ والطلاب من الجنسين على القراءة، والمشروع الوطني للقراءة الذي سُمح فيه للمعلمين والإداريين بالمشاركة بجوار الطلاب من التعليم الأساسي حتَّى الجامعات، الذي شاركت فيه مصر، وحصل العديد منْ بنيها على المراكز المُتميزة، والجوائز المعنوية والمادية.

وقد شاركتُ في المشروع الوطني للقراءة عامين متتاليين عام (2021 و2022 م)، وصُعِّدتُ فيهما للتصفيات على مستوى الجمهورية، وأنا الآن مستمرٌّ في المشاركة للعام الثالث عام 2023م.

لقد عشقتُ الكتاب، هذا المخلوق الورقي السَّاحر، وسافرتُ عبرَ دفتيه أجتني أجمل وأعذب رحيق، وقد علَّمتني القراءة التَّسبيح، فأُسري بروحي في عالم الملك، وعُرجَ بها في عالم الملكوت؛ ومن ثَمَّ تولَّدت لديَّ فكرة النظر إلى القراءة منْ مفهومٍ جديد، فكان ميلاد هذا الكِتاب.

وربما كانَ هناك كتابٌ اطَّلعتُ عليه إلكترونياً؛ بسبب ندرته أو صعوبةِ الحصولِ عليه، فكان النشرُ الإلكتروني مُسعفاً لي في حالةٍ كتلك، رغم أنَّ نظام عرض الصفحةِ الواحدة، حرَّكَ شوقي إلي زوجها المفقود.

وحقَّاً منْ ظنَّ أنَّ النشر الإلكتروني سيغنيهِ عنِ الكتاب، فهو جاهلٌ بالتاريخ.

وإنَّ في الصفحتين المتقابلتين لذَّةً للعين، كما أنَّ للصفحةِ ذات الوجهين طعماً في راحة اليد.

يقول الـــــ د. البرتو مانغويل: (..... والصفحةُ لها طبيعةٌ ثنائية، وقد شبهها المؤلف بشجرة الجنكة "Ginko" – وهو شجر صيني مروحي الورق، أصفر الثمر – بمستحاثٍ حي؛ لأنها المُمثِّل للعصر الجديد لأجناسٍ انقرضت منذُ زمنٍ بعيد، كالصفحةِ منَ الكتاب لا توجد في البرية. كلٌّ من أوراقها المتينة والمرنة رغم أنها تُولدُ من جذرٍ واحد، تبدو ثنائية! وهذا الالتباس قاد غوته إلى كتابة قصيدته:

هاتِه الوريقة المُسافرة من الشرق

وهي الآن قابعةٌ في حديقتي

تطرح معانٍ ثرية وغامضة

تهبُ الحكمةَ للحكيم
أهي مخلوقٌ حيٌّ أخضر
انشطرَ إلى اثنين، لكنَّهُ ما برحَ كاملاً؟
هل الاثنان اللذان اندمجا معاً
سيغدوانِ روحاً واحدة؟
الجواب الصَّائب على هذه الأسئلة
قد يأتي به كلُّ إنسان
ألا يُمكنك أن ترى أنني أيضاً..
في قصائدي، اثنان وواحد؟!).

ويتساءل البرتو: (لماذا نُضيِّع مكاناً ثميناً – يقصد غرف المكتبات - لخزنِ مجاميع لا نهائية من نصوص مطبوعة يمكن بسهولة أنْ تُحصر في رقاقةٍ صغيرةٍ جداً، ومرنة؟! ولماذا يُجبرُ القُرَّاء على السفر مسافات بعيدة قاصدين مكتبةً، متوقعين اكتشاف الكتاب الذي يبغون هناك؟! لماذا هذا الإذعان لتهديدات التآكل الحامضي: جلدة الكتب سريعة الانكسار.. الحبرُ المُتلاشي.. العثَّة.. الفئران.. الدود.. السرقة.. الحريق.. الماء..، لكن أنْ تكون قادراً على الإيواء إلى فراشك مع كتابٍ بالٍ سعيداً.. تزور أماكن مألوفة، مُخربشاً بحواشي على الحواشي، مُستأنساً بالورقِ والحبر.. هو شيءٌ يجب على أي شخصٍ تقريباً أنْ يظل قادراً على القيام به). ثمَّ يرجع فيقول: (للمكتبات الافتراضية منافعها، لكن هذا لا يعني أنَّ المكتبات الحقيقية لم يعد لها حاجة).

والخلاصة علينا أن نتعامل مع الكتاب الورقي والكتاب المنشور إلكترونياً، وبخاصةٍ مع الثورة التكنولوجية والمعلوماتية فائقة السرعة ووجود الكثير منَ الكتب غالية الثَّمن أو بعيدة المكان.

ويستتبع هذا مواكبة كل جديد، وتطوير مهاراتنا اللغوية؛ فاللغةُ العربية الأم لم تعد أُمًّا على ألسنتنا كما هي في الكتب؛ فإن نحن أجدنا الحديث والكتابة بها كما ينبغي نجحنا في التفكيك السَّريع للنص، ووفرنا وقتاً هائلاً كنا نقضيه في البحث عن معنى لمفردة أو مصطلحٍ ما، ولأصبحنا أمهر تعبيراً وترجمةً ونقداً وأخذاً وردَّاً.

وإني لأرى أنَّ الذي يفقدُ جُزءاً من لغته يفقدُ جُزءَاً منْ حضارته.

وكما أنَّ لغة الكاتب الأساسية تأخذ أبعاداً وألواناً جديدة على يدِ المترجمين إلى اللغات الأخرى، فإن كل قارئ دخلَ عالمه سيكون لديه مُخرجاتٌ جديدة، لا تختلف عن قارئين آخرين فحسب، بل تختلف لدى نفس القارئ في قراءته الثانية لنفس العمل.

ولا يوجد كتابٌ ليسَ في الإمكان ترجمته إلى لغات أخرى في بيانٍ أعلى منَ اللغةِ الأصلية التي نزل بها، إلا كتابٌ وحيد، وهو القرآن الكريم.

وقد أثبتت اللغة العربية التي هي الأغنى من بين لغات العالم كفاءتها الأعلى في الترجمة، والتي أكد اللغويون على امتلاكها أكثر من ستة عشر جذراً لُغوياً، بينما أقصى ما تملكه غيرها من اللغات لا يتجاوز الأربعة آلاف جذرٍ لُغويّ.

ومهمٌّ للغاية أنْ نهتم بتعلم لغةٍ أو أكثر غير لغتنا مثل الإنجليزية والفرنسية واليونانية والفارسية والعبرية والهندية .... إلخ، فإنَّ هذا سيجعلنا نطلع على علوم غيرنا بلغتهم الأصلية، وهذا لا شك له سحره

الخاص - وإن تفوقت بعض الترجمات على لغة صاحبها - ولا يكون هذا إلا بالقراءة.

ويقول الـــ د. جلبي: (يجب علينا أن نتعلَّم لغة أجنبية، ونعلِّم أبناءنا أنْ يُتقنونها ليسَّ مثلنا بلحنٍ غريب، بل يُمسكون بزمامها مثل أحد أولادها).

ويقول الـــــ أ.د. عبد الله بن محمد الغزامي: (إذا تعلَّم المرءُ لغةً أُخرى إضافةً إلى اللغة التي يمتلكها صارَ لديه لسانان، وكل لسان إنسان، وكل كتاب إنسان، وإنَّ الكتاب يُدخلك إلى عوالم أُخرى، ويصنع لديك رؤية وفكرة)

وإنَّ للغةِ قوَّةً وسلطاناً كبيرين خطيرين؛ وقد (قال الـــ أ.د. خالص مجيب جبلي (نقلاً عنْ أدن توفلر في كتابه عن الثورات): أن أدن توفلر تحدَّث أولاً عن الثورة الزراعية ثمَّ الثورة الصناعية، ثم بعد ذلك أضاف ثورةً جديدة ثورة المعرفة أو ثورة الكلمة، والكلمة هي التي تُغيِّر الإنسان).

وبالقراءة وحدها سنفهم لغة عصرنا، وسنبحث عن مفرداتنا الخاصة التي تحفظ لنا هويتنا دون أن تُفقدنا اتصالنا بالآخر.

وإنْ لم توجد بيئة القراءة، فعلينا نحن أن نوجد هذه البيئة لنا ولأبنائنا.

وفي نهاية هذا الفصل...

أترككم مع هذه الكلمات العِذَابِ المُحفِّزات، للطبيب الشاعر/ عادل إدريس المشيطي، وقد أبكى الحضور حين أنشدها في حفل تخرُّجهِ في كلية الطب:

(سوف نبقى هُنا.. كي يزولَ الألَمْ
سوف نَحيا هُنا.. سوفَ يحلُو النَّغمْ
موطنِي موطنِي.. موطِنِي ذا الإباء
موطني موطني.. موطني يا أنا
رُغم كيدِ العِدا.. رُغم كلِّ النِّقمْ
سوفَ نسعى إلى.. أنْ تعُمَّ النِّعم
سوفَ نرنو إلى.. رفعِ كلِّ الهِمَمْ
بالمسيرِ للعلا ومُناجاةِ القِمم
فلنقم كلُّنا.. بالدَّواءِ والقلم
كلُّنا عفوٌ على.. منْ يُصارعُ السَّقمْ
فلنواصل المسيرَ نحوَ غاياتٍ أهمْ
ونكون حقَّاً.. خير أُمَّةٍ بين الأُمم
يا نجومَ السماءِ.. يا عبائقَ النَّسم
يا سحائبَ الرجا.. يا طُيورَ الحَرَمْ
يا رُعودَ الشتاءِ.. يا جميعَ الأَنَامْ
اشهدوا هذا المساء.. أَنَّني قلتُ القَسم).

****

القراءة والرواية

للروايةِ دورٌ هام في توصيل الأفكار وبث الرسائل، عبر شخصيّاتها وأحداثها المُثيرة المُشوّقة، ولابد أنْ تأخذَ قراءتُها نصيباً منْ وقتِ القارئ، على ألَّا يتجاوز ذلك العشرةَ بالمئةِ من قراءاته؛ لأنَّ القارئ المُتميّز هو الذي يُعطي تخصُّصه خمسين بالمئة، وأربعين بالمئة للمجالات الأخرى، مما يعمل على تلاقح وتكاثر الأفكار والمعارف عنده لتكوين ثقافة الوعي المطلوبة للنهوض، كما ذكر ذلك كثيرٌ ممن كتبوا في مجالِ القراءة، وهو ما ينتمي إلى ما نسميه الكيف القرائي في مُقابل الكَم.

ولا شك أنَّ أُمَّتنا العربية مُتأخرةٌ للغاية سواءً في القراءةِ عموماً قياسَاً بدولِ الشّمال، أو في القراءةِ المُنظَّمة التي يكشفُ تدهورَها إقبالُهم على الروايةِ أكثر بكثير من النسبة المُعتدلة في انسجامها مع الكتب الأخرى!

وفي عصرنا الذي نعيشُ فيه، أصبحَ الإقبالُ كبيراً على قصصِ الرعب والرومانسيّات حتَّى لو كانت فقيرةَ الهدف غائبةَ المغزَى فاقدة الرِّسالة.

ولا شكَّ أنَّ الرواةَ لديهم بُوصلتهم التي تدلُّهم على الذَّوقِ الجمعي للجماهير، ودرجاتِ إقبالهم على نوعيّاتٍ مُعيَّنةٍ من الأقلام التي تُسطِّرُ شيئاً ممَّا سبقَ ذكره.

ونقطةُ النورِ في هذا الأمر هو إمكانية توجيه هؤلاء الكُتَّاب لتضمين الرسائل النهضوية في كتاباتهم.

فلمَ لا نكتب قصَّة الرُّعب التي تحملُ أفكاراً إصلاحية في طيَّاتها لإصلاح عيوب المجتمع ودرءِ مفاسده؟ فيكونُ بذلك الكتاب جامعاً بين المُتعةِ والإفادة.
وهذا لا شك سيُحرّك الأمَّةَ ولو قليلاً من الخطوات نحو القراءة الجامعة بينَ لُغةِ التسبيح الكُبرى ولغة الكتاب الصغرى في صناعةِ التقدُّم.
وأذكرُ أنّي قرأتُ رواية (مثل إيكاروس) لـــ/ الـــ د. أحمد خالد توفيق، وهي قصَّة واقعية فيها شيءٌ من الخيال الذي يحملُ مسحةً من الرعب اللَّطيف، وهي تؤدِّي رسالةً تُخبرك بحكمةِ الله في إخفاء ما سيحدث للنَّاسِ من خيرٍ أو سوء يجعلهم لا يفقدون مُتعةَ الأحلام ولهفة الانتظار وعرق التخطيط، وإلا ستصبح الحياةُ بلا معنى.

ولدينا أديبة صاعدة استطاعت بفطنتها أن توظِّف أدب الرعب في محاربة الدَّجل والسحر والشَّعوذة في روايتها (الهودو) وهو شيءٌ يُحسب لصفاء فوزي.
وفي الإمكان أنْ نرقى بالجانب الرومانسي لدرجاتٍ تسمو بالروح وتُغذِّي الانتماء وتعزِّز الهُويَّة، كما في رواية (عهد دميانة) ذات الخلفية التاريخية لأُسامة عبد الرؤوف الشَّاذلي، والتي ربطَ فيها ببراعة بين سرِّ التَّعميد ووضوء المسلمين على لسانِ ابن الكيزاني الذي بيَّنَ العلَّةَ قائلاً: (لكي نبدو كأننا متنا ثُمَّ قُمنا من جديد إلى الفطرةِ الخالصة).
ونجد في رواية (رحلة إلى أُستراليا) لحنان حنفي أحمد توظيفاً رائعاً للقصة الرُّومانسية في الحث على حُبِّ الطبيعة والحفاظ على البيئة، وهو أمرٌ نحتاجُ إليه أشد ما يكون.

أمَّا رواية (أصل الهوى) لحُزامة حبايب، رغم موهبتها في الكتابة وامتلاك ألوان طيف قلم الأديب الحالم وغزارة مُفرداتها، إلا أنها جرَّت قلمها إلى وديانِ الشَّهوة بعمقٍ أكثر من اللازم.
وهو تعمُّقٌ يحرّكُ الغرائزَ دونَ إطارٍ يحفظها من السقوط؛ لتغرقَ في أتونِ نارها بلا عقلٍ يرقى بآدابِ شرعٍ أو ضميرٍ يخُطُّ لها دروبها وَفقَ لذَّةِ الحلال لا لذَّةٍ بلا سقفٍ أو جدران.
فحزامة في روايتها تعرضُ الواقع بلا تحفظ ولا رسالة واضحة تعكسُ من خلالها أمواج الظلمات إلى الاتجاه المُغاير حيثُ النور.
وربما تكون روايتها هذه ضربةً قاسمة للشذوذ الجنسيّ الذي تدعو إليه بعض المنظمات العالمية المشبوهة وتروج له، إلا أنَّ هذا ليسَ مُبَرِّراً لهذه النوعية من الكتابة، فلن يعدم الأدباء الوسائل التي يهدمون بها هذا الباطل.
وكم منْ مدراس أدبية تعرضُ الواقع كما هو بلا خجلٍ أو حياء، بينما نجحت في تحليل كثيرٍ من أمراض المجتمع إلا أنها فشلَت في علاجِ أدوائِه؛ ذلك أنها تنتمي إلى بُعدِ الكُتبِ غير المُدمجةِ ببُعدِ التسبيح الذي أشرنا إليه من قبل.
ومن هنا نؤكِّد من جديد على حاجةِ الأمَّةِ إلى القراءةِ الجامعةِ بينَ البُعدين، وإلا فسوف تتأخر نهضتها آخذةً في المزيدِ من الوقت.

ورغم أنَّ الأديب غير مُلزمٍ بتقديم الحلول، إلا أنَّ ذلك لا يُثنيهِ عنْ كونِه صاحب رسالةٍ تتجاوز كشفَ الواقع إلى تحديد مكمن الدَّاء، والضَّغط على الجُرح سَواءً كانَ ذلك بشكلٍ مباشر أم غير مباشر باستخدام الرَّمز وتحريك التساؤل.

ونجد الجانب الرمزي أكثر في الأسلوب المسرحي في بعض الروايات كرواية (خُلق ولم يُولد) لمحمد وجيه، فبرغم أنَّ القراءة السطحية لها سيجعلُ القارئ يختصرُ الفسادَ في بيئةٍ رجالها عَرابدة ونساؤها موامس ودور ذلك في اغتيال براءةِ الأجيال القادمة، إلا أنَّ القراءة العميقة ستجعله يُدرك أنَّ الزِّنا كانَ رمزاً لشهواتِ النَّفس المتنوعة وهي علائق إبليسَ التي يصيد بها أولاد آدم، ليفقدوا بعدها إنسانيتهم ودورهم التربوي ويُمارسوا ساديتهم وإسقاطاتهم الشريرة بكلِّ عُنفٍ على أولادهم مما يُجردهم من هويَّتهم ويجعل منهم دُميً في يدِ إبليس.

وكان من الممكن لكاتب غير محمد وجيه أن يستغل هذا الرمز في صناعة مشاهد إباحية كما فعلت حُزامة حبايب، ولكنه لم يفعل ولم يجعل هذا غرضاً له أو محوراً للأحداث، ولكنَّه بذكاء جعلَ ذلكَ مدخلاً لمخاطبة المجتمع منْ خلال شهوةٍ هي من أقوى شهواتِ الإنسان، وكأنه يحفزه من خلال المأساة التي يعيشها البطل على التَّحرر منها ومن غيرها لإنقاذ ما يمكن إنقاذه قبل فواتِ الأوان.

وقد يُؤخذُ على محمد وجيه تركيزُهُ على دور إبليسَ في إغواءِ الناس وتحوليهم إلى أباليس، مع أنَّ النَّفس هي العدوُّ الأكبر، فالشيطانُ هو صاحب الإيقاع في الذنب الأول، ولكنَّ النَّفسَ هي صاحبة الإلحاح في الذنوب ذات الطَّابع التكراري والتي بالانقيادِ لها تحول صاحبها إلى مُدمنٍ لذنبٍ ما بعينِه دون غيره من الذنوب الأُخرى، الأمرُ الذي ركَّزتُ عليه في روايتي (أُوركسترا رحلة الميلاد) فكأنها الجزءُ الثَّاني لرواية الأديب محمد وجيه.

إلا أنَّ (خُلق ولم يولد) تلقي الضوء على الدور الأول للشيطان في تحريك النفوس.

والروايةُ عموماً لا تقل سِحراً عن الشعر وإن كانت دُونه في النَّظم، فهي فوقه في تفكيك الفكرة إلى أحداث يجوبُها القارئُ كما يجوبُ حدائق الأرض ليحصد ثمراتٍ شتَّى في شتَّى جوانب المعرفة من فلسفة وعلوم نفسية واجتماعية وأبعاد تاريخية وقانونية تجعلهُ يقرأُ في كلِّ هذا بأساليب جديدة تفتح له آفاق لم يرتدها من قبل.

وإذا كانَ الباحثُ في النفسِ كما يقول هكسلي: (مثل المُشَرِّح يُفصِّل الأعضاء إلى أنسجة، والأنسجة إلى خلايا، فكذلك السيكولوجيّ يُرجعُ الظواهر العقلية إلى حالات الشعورِ الأوليّة)، فأنا أرى أنَّ الروائي يُشرِّح أبطالَ روايته بالعديدِ من المشارط التي تربط بين الفراسة المتعلِّقة بالملامح وبين التحليل النفسي الذي تقفُ خلفهُ السلوكيات المُحركة للحدث.

فأنت حين تقرأ (الجريمة والعقاب) لدوستويفسكي فأنت تلمسُ جانباً من جوانب علم النفس الإجرامي والذي يتعلَّق بنفسيّة المُجرم ودوافع الجريمة والبيئة وغير ذلك، وحين تقرأ (الحرب والسلام) لتولستوي، فأنت تعيش الكثير من التجارب الإنسانية المتعاقبة بين حالتي الحرب والسِّلم.

وحقًّا إنَّ الانفتاح الثقافي وثورة المعلومات في أيامنا هذه أعطت الكثير من الأُدباء الكثير من الخلفيات العلمية والتاريخية بما يتجاوز تخصصاتهم لأحداثِ وشخصياتِ أعمالهم، وهو الأمر الذي يجعلني أُعطي نسبةً أعلى تتجاوز العشرة بالمئة إلى الخمسة عشر أو حتى العشرين من نصيب القراءات الأخرى لدى القارئ المعتدل، مثل رواية (عزازيل) ليوسف زيدان، وراوية (شيفرة دافنتشي) لدان براون.

وهناك روايات الخيال العلمي والفانتازيا، رغم العطاء الذي ما زال فقيراً بشأنهما في الوطن العربي، فالأملُ كبير في إثراء هذا الجانب الهام.

ومن روايات الخيال العلمي التي تحمل حسّاً تنبؤيّاً عالياً روايتي (العنكبوت) و(رجل تحت الصفر) لمصطفى محمود، وروايتي (قاهر الزَّمن) و(الشيء) لنهاد شريف، و(الإنسان الباهت) لطيبة أحمد، و(ملف المستقبل) لنبيل فاروق، و(عالم جديد شجاع) لهكسلي،

و(الرجل الأخير) لجرينيفيل.

أمَّا الفانتازيا فرواية (آخر أمراض الكوكب) لحميد يونس، ورواية (قواعد جارتين) لعمرو عبد الحميد، وغيرها تمثِّل هذه النوعية أفضل تمثيل.

****

القراءة والأطفال

هناك حكمة صينية تقول: "إذا أردت أنْ تعرف مُستقبل أُمَّة، فانظر إلى ما يقرأ أطفالها".
يتأثر الطفل أوَّل ما يتأثَّر بما يطرق مسامعه من كلمات، وحرصنا على أن تكون البسملة، وكلمة التوحيد، وأحاديث بسيطة للرسول ﷺ، مع قصار السور من القرآن الكريم هي أول تعليمنا الشفهي له سيربط وجدانه بالدين، ويحرك عقله للبحثِ عن تعاليمه.
يقول الـــــ د. ياسر نصر في كتابه كيف تصنع طفلاً مُتميِّزاً؟ - بتصرف -:
(... ثم يأتي بعد ذلك دور القصص التي ترويها له والدته أو معلمته، فإذا أتقن القراءة، نكون قد أعددنا له مسبقاً غرفته المليئة بالمجلات والقصص الصغيرة التي تُغذي خياله الخصب وتُحاكي عقله وتدخل إلى عالمه، وأما عن تنمية مهارات القراءة عنده، فمن خلال تدريبه على القراءة المُعبرة والممثلة للمعنى من خلال حركات اليد وتعبيرات الوجه والعينين قبل إجادته للقراءة، وتدريبه على القراءة السليمة بعد إجادتها مع المتابعة، والاهتمام بالقراءة الصامتة التي تساعده على فهم النص، ثم الانتقال إلى القراءة الجهرية التي تمكننا من تصحيح أخطائه، مع الوقوف عند الكلمات الجديدة وشرحها له باستخدامها في جملة مفيدة أو ذكر المرادف لها أو المضاد، أو استخدام طرائق التمثيل والرسم، وتدريبه على القراءة أمام الآخرين دون تلعثمٍ أو خجل، مع وضع

الحوافز المناسبة لتنمية ميله إلى القراءة، وتدريبه على ترجمة علامات الترقيم، مع الاستفاضة في شرح الكلمة التي يتكرر خطؤه فيها).

وبالنسبة لتفسير القرآن، نبدأ معه بالبسيط منها مثل القراءة عليه من كتاب اللؤلؤ المكنون في تفسير جزء عم يتساءلون لـــــ/ الـــــ د. عائض القرني، ونرشح له فيما يتعلَّق بالرسول ﷺ وأحاديثه وسيرته سلسلة السيرة النبوية للأطفال، وسيرة زوجات الرسول ﷺ، و(الأربعون النووية)، وقصص القرآن للأطفال لمحمد الصايم، وقصص الأنبياء للأطفال لمحمود المصري.

ولا ننسى المجالات الأخرى التي تنمي الأخلاق وتثري الخيال مثل: قصص الحيوان في القرآن الكريم، وهناك الكثير من كتب الأطفال في هذا المجال مثل الشجرة الكبيرة، وغداً المدرسة، والعمَّة توتة، وميكي، والثعالب يمكنها أن تُحب، والصداقة العجيبة، و365 قصة للبنات، والبطة ميمي لأمينة مجاهد، والحرباء الحائرة لإريك كارل، وحكاية القط سامي، وسلسلة (حواديت)، وحرب وهمية – وهو كتاب يتحدث عن الألعاب الإلكترونية وخطورتها - ، وقنال لا تعرف المحال، وسنطير معاً لناهد السيد، والزائر الجديد، وحبهان في طريق التوابل، وهناك قصص تهدف لحماية النشء من الغزو الثقافي والمثلية التي يروج لها العالم الغربي ومنها: شيء غير طبيعي، والكابوس...إلخ.

كما نوفر له فيما بعد الثانية عشر الروايات المفيدة، مثل رواية جسر الديجيتال، وعجائب الأقدار.

يقول الـــــ أ.د خالص جلبي: ((إذا أردنا أن نعلِّم أطفالنا كيف يقرؤون، ولكي نسهم في خلق جيل قارئ وبخاصةٍ في مدارس الأطفال، يجب أن

نُعطي الأطفال قصصاً مصوَّرة، وأن تكون الأسر خلفه وتعلمه بكافة الطرق الممكنة، وتبدأ معه بالكتب البسيطة، وتشتري له كتباً تساعده في البناء المعرفي كلمةً كلمة، مثل: روايات ماجلان، وآخر الراحلين، وساعات قدر، وتاريخ البشرية، وابن بطوطة، وكليلة ودمنة، وألف ليلة وليلة ... إلخ)، ويقول: (علينا أنْ نترك للأطفال روح الاستغراق والفضول، وأن نبني عندهم ثلاثاً: 1) البحث بدون ملل. 2) السؤال بدون خوف. 3) الانفتاح المعرفي بدون حدود)).

وكم جميل اصطحابهم إلى معارض الكتب الدولية والمحلية في جولةٍ هادفة.

ومن المهم أن نسمح لهم بالنقد والتعبير عن رأيهم، من أجل بناء شخصيات واثقة، وقارئة تصل ماضيها بحاضرها، ويومها بغدها، فهذا أملنا الكبير، الذي نأخذُ بأسبابه، ونضع نتائجه في يدِ الله الكبير.

❊❊❊❊

مُعجزة القراءة

ما نحنُ والنِّعمُ التي أنعمَ اللهُ بها علينا إلا آيات صَرفت الأُلفةُ بها أنظارنَا عنها كمُعجزات.

وإنما سُمِّيَت المعجزةُ معجزةً لاختصاصِ الله بها منْ أجراها على يديه كخوارقَ غير مقدورٍ على الإتيانِ بمثلها لإثباتِ نبوَّةِ المُرسلين.

ولمَّا كانت المُعجزةُ تنقضي بذهابِ الرسول؛ كان لابد من مُعجزةٍ تبقى بعد ذهابِ الرسولِ الخاتَم ﷺ، وكانت هذه المعجزة هي القرآن الكريم.

وكان التوغّلُ في أنوارِ القرآنِ واتباعُ نهجه هو ما جعلَ توابعَ هذه المعجزةِ تعملُ عملها واقعاً ملموساً في أعمالِ الأجيالِ الأولى الذينَ فتحوا قلوبَ العبادِ قبل أبوابِ البلاد، وفضُّوا أبكارَ العلومِ في كلِّ فنٍّ وواد، فَنَعَتَ المؤرِّخونَ فعلَهم بالمُعجزةِ مجازاً، وما كانت أفعالهم العظيمة لتخرُجَ للوجودِ لولا المُعجزة الكبرى التي صاغتهم منْ جديد، ألا وهي القرآنُ المَجيد.

لقد كانَ الرسول ﷺ نوراً، وكان القرآنُ كتاباً مُبيناً، فلمَّا نزلَ القرآن على الرسول ﷺ ازدادَ نورُهُ نوراً على نوره، فلمَّا طبَّقه ازداد أكثر، وانعكسَ على أعينِ الناسِ وآذانهم وحسِّهم – مُعاينةً – نموذجاً لتعاليمِه يمشي على الأرض، فقرأهُ أصحابُه قولاً وعملاً وتقريراً، وتشرَّبتهُ أرواحهم.

سألَ سعدٌ بن هِشامٍ (رضي الله عنه) عائشةَ أم المؤمنين (رضي الله عنها) عن خُلُقِ رسول الله ﷺ، فقالت: "أما تقرأ القرآن؟"، قال: "بلى!"،

فقالت: "كانَ خُلُقُه القرآن". (مسلم منْ حديث قتادة عنْ زرارة بن أبي أوفى).

وفي بعض الروايات قالت (رضي الله عنها) جواباً للمُستفسر عن خُلُقِه ﷺ: "كانَ قُرآناً يمشي على الأرض"، وفسَّرَ الشّعراويّ (رحمه الله) ذلك بقوله: "كانَ تطبيقاً عمليّاً للمنهج الذي جاءَ به منَ الحقّ تباركَ وتعالَى"؛ فالرسول الذي أُنزل عليه القرآن الذي يجمعُ بينَ لُغتي التَّسبيح والكِتاب بشكلٍ إلهيٍّ مُعجِز كانَ خُلُقُهُ هوَ القرآنَ نفسَه، بل كانَ قُرآناً يمشي على الأرض.

ولم يُوصف أحدٌ بهذِه الصِّفة في حياتِه غير رسول الله مُحمَّد ﷺ؛ فلم يُوصف بها أحدٌ منْ أصحابه أو آل بيتِه إلا بعد وفاتِه ﷺ.

يقول الشَّنقيطي عن أصحاب النبيِّ بعد وفاته ﷺ: "كانَ كلُّ واحدٍ منْ أصحابِه قُرآناً يمشي على الأرض"، يقصد تحقيقهم القرآن بالعمل.

وإني أري أنَّ الأنسب أنْ نقول: كانَ خُلُقُهم القراءة تمشي على الأرض ببُعديهَا التَّسبيحي والكِتابِي؛ لأنهم قرأوا القرآن وقرأوا الشَّخصَ الذي مشَى على الأرضِ قُرآناً أفضَلَ قِراءَةٍ وأحسنها؛ فكانَ لابد منْ بناءِ أكبر وأسرع حضارة في التَّاريخ على يدِ أبناء هؤلاءِ القارئين الذينَ كانوا قراءَةً حيَّةً تمشي على الأرض.

وهو جيلٌ انطلقَ في قراءتِه جامعاً بين التسبيح والكِتاب، فلمَّا فعلوا ذلك أعطاهم القرآن، وأعطتهم الكُتُب، وأَعطوا هُمُ الكُتُبَ، وأعطوا العالم والوجود ما لم يُعطِه أحدٌ قبلهم.

وإذا نظرنا إلى الكُتبِ عموماً لوجدنا أننا شركاء لمؤلفيها في كُتبهم التي نقرأ؛ فنحنُ نأخذُ منهم، ونردُّ عليهم ونضيفُ أو نُعدِّلُ إلى أو فيما

قدَّموه إلينا حسب حاجتنا وموقعنا وزماننا، ومن هنا ندركُ أكثر قول الله سبحانه:
{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} (النساء82/4)
وإذن فالقرآنُ كِتابٌ لا يستطيع أحد أن يكون فيه شريكاً معَ قائله؛ لأنَّ صاحب كلماته هو اللهُ سبحانه، ولذا فهو كِتابٌ موزونةٌ حروفهُ بميزانٍ إلهي بلاغته في الإيجاز وتفجُّرِ المعاني الغزيرة الفريدة والتي لا تنتهي إحصاءً وفي مطابقةِ الحال رغم تلوّن الأحوال، وتجدده غير القابل للخرق في كلِّ حال، بلاغةٌ لا تُحاكى ولا يُطيقها أحد ولا يقوى على الحذف منها أو الإضافة إليها أحد.
والذين آمنوا ذاقوا حلاوة البيان القرآني، وعظمة وروعة حديثه، وعلموا أنه معجزتهم التي ستجمعهم، وتقيم ملكهم، فقرأوه للدنيا والدين معاً، وعالجوا به اختلافات البشر الذين دعوهم للإيمان فآمنوا.
وما دانت لهم الدنيا إلا بحكمه، وما أدخلهم الله في ملكوته وجعلهم شهداء على النَّاس إلا بحكمته. ومن هنا استحقوا لقب خير أُمَّةٍ أُخرجت للنَّاس.
وإنهم لمَّا علموا أنه كِتابٌ لقراءة الاهتداء، وتعبّد المهتدين به تلاوةً له في الصبح والمساء، وبالضحى والعشي، وفي الصلاةِ وغير الصلاة، وأنه دعوة للعلم وإعمال العقل، قرأوا في شتى العلوم وترجموا وصنفوا وقوَّموا وأرشدوا وهذَّبوا وبينوا، فازدادوا بكلِّ ذلك فهماً للقرآن وإيماناً به، وتلاشوا به زلاتٍ هنا وعقباتٍ هناك، حتَّى بنوا حضارةً عظيمة في عطائها سريعةً في نموها وانتشارها، بينما الغربُ في ظلماته وانكسارِه لم يزل.

ولكن خلفَ من بعدهم خلفٌ أضاعوا الصلاةَ واتَّبعوا الشهوات، فلما غرقوا في سلاسل وقيود أعدائهم قال معظمهم سنأوي إلى جبلٍ يعصمنا من الطوفان! واتخذوا منْ فكر عدوهم المضطرب هذا الجبل الذي آووا إليه، وعميت أعينهم عنْ رؤية الأنوار الربانية التي علا سنا برقها على كلِّ مرتفعٍ مُطل.

ونادتهم القلة المؤمنة: اركبوا معنا ولا تكونوا من المُغرقين، فمعنا فكاك قيودكم، ولا تغرنَّكم الدنيا، وكفانا وكفاكم ما حصَل. وإنُ كنتم تريدون الدنيا فسيسوقها الله إلى منْ آمن وعمل، موضع اليد لا القلب المبتهل.

وأخبروهم بما عليهم في آخر الزمان، وخطبوا فيهم بأحاديث نبيِّهم العدنان، نورهم الثَّاني بعد القرآن.

فلم يجبهم إلا القليل، وصدقَ الله العظيم إذ قال { ..... وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} (سبأ 13/34)

وصدقَ سبحانه إذ قال {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ} (الواقعة 14:10/56).

وبقي ضعفاء الإيمان بعيدين عن القراءة، يعتصمون بجبلٍ من الجهل، فهم لا يختمون القرآن إلا في رمضان، ولا ترى في يدهم كتاباً إلا اضطرار المشروط عليهم لمنصبٍ أو وظيفة! أو قراءة التَّسلِّي الذي يمزِّقُ الأعمارَ تمزيقاً فيما لا يفيد!

وقالوا نحن من أصحابِ اليمين، وقد تركنا درجة السّابقين لكم، ولكن أما علموا أنَّ من لم يطلب سبقاً، فقد يخسرُ ما عوَّل عليه منْ فوزٍ مُتواضع.

نعلم قول الله سبحانه: {ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ} (الواقعة 40:39/56). ولكن بقراءةٍ أعمق في بُعد التَّسبيح، ستكشفُ لنا البصيرة

أنَّ هذه الثُّلَّةَ قد طلبت السَّبق، ولكن همتها كانت دون همَّةِ منْ نالوه، ففازت باليمينية، فحمدوا الله أنهم لم يتركوا سبقاً، ولم يفقدوا فوزاً، ولم يُحرموا أُخوَّةَ السَّابقين ومحبتهم وزيارتهم لا في دارِ الدنيا ولا دارِ الآخرة.

لقد عاشت أرواح المؤمنين القراءَةَ عملاً، وأعطاهم القرآن كل مستويات القراءة ومجالاتها ومهاراتها، وسمح لأهل الاجتهاد بالاجتهاد، ولم يحبس لهم طاقةً عرفت معنى العبادة ولا كبَّل عنهم عقلاً لم يشط عن قواعد الرَّشاد في التفكير.

فقرؤوا القرآن تحقيقاً وحدراً وتدويراً ورتَّلوه ترتيلا، وانطلقت قراءاتهم في كتبِ الأرضِ ابتداءً منْ قراءته أولاً، فقاموا به الليل، وتسابقوا في ختمِ أجزائه الثلاثين، حتى إنَّ بعضاً من الصحابة والسلف الصالح كان يختمه مرَّةً كل أسبوعٍ أو ثلاثةٍ منَ الأيَّام.

وقد ورد عن كثير من العلماء، ومنهم ابن حجر في الفتح: أنَّ عثمان بن عفَّان (رضي الله عنه) قرأَ القرآن ليلةً في ركعة!

وذكرت كتب التراجم: ختم الشَّافعي (رضي الله عنه) للقرآن ستين ختمة في رمضان

أما عن الحديث "لا يفقه من قرأ القرآن في أقل منْ ثلاث" (أبو داوود والترمذي عن عبد الله بن عمرو)

فالحديثُ لا يشتملُ نهياً، وإنما نفياً لمن طلبَ فقهاً وفهماً، ومن الواضح أنَّ حروف القرآن تُسجِّلُ أجراً لتاليها، وإنْ لم يفقه ما تلاه.

ولكن هؤلاء الأفذاذ الذين حفظوا القرآن، وتبحروا في العلوم، دخلوا بقراءتهم في بُعد التَّسبيح، فلانت جوارحهم وجرت بآياتِ ربِّهم مجرى

الماء والهواء في التموُّجِ والهبوب بين النَّسيم والشدَّة والإعصار، فكانوا آيةً منْ آيات الله، ونعمةً وفتحاً عظيماً.

وقد انتقلت هذه القدرة العجيبة على القراءة من القرآن إلى الكتب والمخطوطات، فالشافعي كمثالٍ: كان سريع القراءةِ للغاية، وقد عرف القراءة التصويرية قبل أن يتحدَّث عنها العالم الآن بعدة قرون، فقد كان (رضي الله عنه) يقرأ صفحة، ويقوم بتغطية الصفحة المُقابلة لها، لأنه لو وقع نظره على كلمةٍ منها لحفظها، قبل أن ينتهي من السطور التي يقوم بقراءتها، وقد حفظ موطأ الإمام مالك في مدةٍ لا تزيد عن تسعةِ أيَّام، وهو ابن الثلاث عشرة سنة.

وإنه إذا كان رسول الله مُحمَّد ﷺ قد أُنزلت عليه مُعجزةُ القرآن، وكان قُرآناً يمشي على الأرض، فقد خلَّف وراءه مُعجزة القارئين تسيرُ على الأرض، وهذا هو السر الخطير لنهوضِ خير أُمَّةٍ أُخرجت للنَّاس.

وهذا هو سر العودة للنهضةِ منْ جديد، لأنه إذا خلت الأُمَّة منْ مُعجزة القارئين، فلن تنفعها مُعجزة القرآن.

ولكي يتحقَّق لها ذلك الأمر، فعليها أنْ تتجاوز لغة العلم المشتركة الصُّغرى التي يُلقنون فيها تلاميذهم تلقيناً يكشفُ مشهداً عقيماً في التَّعليم:

- في أي سورة يقول الله تعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} (آل عمران 3/ 110)

- في سورة آل عمران
- أحسنتم، وهل عرفتم رقم الآية؟
- نعم، العاشرة بعد المئة.
- لابد يا أولاد أنْ نأمر بالمعروف، وأن ننهى عن المُنكر، هل اتفقنا
- اتفقنا
- أحسنتم، لقد انتهى درسَ اليوم، ولا تنسوا حفظ ما قبلها وما بعدها منَ الآيات.

انتهى درس المُعلِّم!

أيُّ درس!

أين قراءة التَّسبيح؟

أين القراءة بلغة العلم المُشتركة الكُبرى؟

ما هو المعروف؟ وما هو المُنكر؟ ولماذا يأمرنا الله بالأمر بهذا، والنهي عن ذاك؟ وهل نحنُ نعيش هذه القضية في حياتنا؟ هل نتحدَّث عن أمتنا التي كانت، أم أمتنا التي نعيش؟

أهي خيرية لغيرنا ندرسها للتاريخ، فمن نحنُ إذاً؟

ولو فهمنا انفصالنا الآنيّ عنها، فكيف نعود إليها؟ وهل لدينا استراتيجيات تطبيقية للتنفيذ؟

وما هي الأحوال والمواقف التي لا يجوز فيها النهي عن المنكر؟ ... إلخ.

لو جمعت الأمَّة بين قراءة الكِتاب وقراءةِ التَّسبيح، عندئذٍ ستقود منْ جديد، وسترجع إليها حضارتها وعزتها وكرامتها.

لتكون بالقراءةِ عصَا موسَى وخاتمَ سليمان، وحِضنَ جبرائيل وقُرآنَ مُحَمَّدٍ وسفينةَ نوحٍ، وسياحةَ إبراهيم وإبراءَ عيسى للأكمه والأبرص، وأسماءَ آدم ومزاميرَ داوود، وتعميدَ يحيي وخطَّ إدريس، وعيونَ المَها وجنَّاتِ الخلود.

****

ما نحتاجُ إليه بشدة

1. الانطلاق في قراءاتنا من القرآن العظيم سيّدِ الكُتب على الإطلاق، وهو الكتابُ الوحيد الذي يُقرأُ لذاته، وقراءة الأحاديث النبوية وفقَ المفهوم الجديد للقراءة الذي يستخلص النتائج على مستوى البُعدين (التَّسبيحيّ والكتابِيّ) بأسلوبٍ تجديديٍّ عصري.
2. العمل بلغتي القراءة حسب المفهوم الجديد (التسبيح والكِتاب) واقعاً
3. قراءة الكثير منَ الكتب التي تتكلم عن القراءة ومراحلها منْ (تأسيس وتوجيه وتوسع)، ومستوياتها من قراءة (أساسية واستكشافية وتحليلية ونشطة) وأنواعها ومهاراتها منْ (ذكية وناقدة وسريعة ودراسية)
4. قراءة الكثير من الكتب التي تتحدَّث عن تقوية الذاكرة، وتقنيات تذكر المعلومات والاسترجاع، مثل كتاب (الذاكرة الفائقة) لـــــ/ غريغور تشاوب
5. قراءة كتب تتحدث عن تجارب القراء، لما في ذلك منْ توفير الوقت والجهد، والمساعدة في انتخاب الكتب الجيِّدة
6. قراءة كتب تتحدَّث عن علم النفس التعليمي وقواعد بناء المعرفة
7. القراءة في شتَّى المجالات بجوار التَّخصص لصقل البناء المعرفي من خلال الروابط الكائنة بين المعلومات المُختلفة، ولكسب المناعة الثقافية اللازمة، وخلْقِ التقدُّم المطلوب.
8. الحرص على وسطية الفكر، وسجايا التَّواضع، والمثابرة والإخلاص.. إلخ.

9. مناقشة الكتاب مع أحد سبقك في قراءته، وإفادتك به منْ لم يقرأه؛ فهذا يُثبِّت لديك ما حصَّلت، والعلمُ يزيدُ بالإنفاق
10. ترشيح كتاب جديد، أثناء القراءة في أحد الكتب، تذهب إليه بعد انتهائك منَ الكتاب الحالي، بعد راحةٍ يسيرةٍ تفصلُ بينهما؛ فليسَ هناك محطة وصول في مجال العلمِ
11. إعطاء تلخيص شديد الإيجاز، تتراوح كلماته من 500 إلى 1000 كلمة للكتاب الواحد.

وإليك عزيزي القارئ بعض الأمثلة، لكتبٍ قُمتُ بقراءتها، ثمَّ كتبتُ لها تلخيصاً يعكس خُلاصتها بشكلٍ شديد التَّكثيف، بحيثُ يعرفُ القارئُ روحَ الكتاب وزبدته في لحظاتٍ معدودة، توفِّر عليه الوقت والجهد في انتخابِاته للكتب: .....

****

كتبٌ قرأتها

1. (الرَّحيق المختوم) لـــ / صفي الدين المُباركفوري:

وهو حولَ السيرة النبوية لخاتم المرسلين محمد ﷺ، وامتاز فيها الكاتب بسلاسة العرض في نظامٍ بديع بادئاً بحال جزيرة العرب والمجتمع الجاهلي قبل البعثة، مُتعرِّضاً لنسبِ النبي ﷺ ومولده، وما كان منْ حوادث كحادثةِ الفيل عام 571م، ورضاعته وزواجه ونزول الوحي، وذكر حادثة شق الصَّدر في دار بني سعد، ثمَّ ليلة أُسريَ به مُبيناً مراحل الدعوة في دورها المكِّي الذي بدأ سرَّاً، ودورها المدني الذي انتهى بدخول النَّاس في دين اللهِ أفواجا، وكيفَ كشفت أحداث هجرته وسراياه وغزواته وفتحه لمكَّة واستقباله للوفودِ عن عبقريَّةِ النبي ﷺ في التَّعبئةِ والتَّخطيط وأخذِ المواقع والاستشارة رغم الوحي، وأخلاقِه العالية سلماً وحرباً وقوَّةِ إيمانِ أتباعِه ممّا ساهمَ في تغيير وجه الأرض والتَّاريخ، بفضلٍ منَ الله ومنَّة، خاتماً بحجةِ الوداع، واحتضارِ الرَّسول، معَ بقاءِ الرسالة، مُردفاً ببيانِ طرفٍ منْ حُسنِه الخَلقِي والخُلقي وشَرفِ آلِ بيتِه.

2. (الأخلاق والسِّيَر "رسالة في مُدَاواةِ النُّفوسِ وتهذيب الأخلاق والزهدُ في الرَّذائل") لـــــ/ الإمام الفقيه الأديب ابن حزم الأندلسي:

وخرجتُ منهُ بأنَّ الفضائل – خلاف الأنبياء – تُكتسبُ بالتَّعليم، وأنَّ النَّاس يشتركونَ في مطلوبٍ واحد وهو طردُ الهم، ولا يكونُ ذلك إلا بهمٍّ واحد وهو طلب الآخرة على الحقيقة والتزَهُّد في الدنيا، والتي إنْ ذهبتَ لتنام خرجتَ منها ونسيتَ كلَّ سرورٍ وحُزن، فلو رتَّبت نفسكَ يقظةً على ذلك لحزت السعادةَ التَّامة.

وأنَّ العلمَ له فضلُهُ وآدابه، فهو لا يقطع الوساوس فقط، ولكن يقفُ بكَ على حدودِ الفضائل ورسمها مُبيناً أصولها الأربع (النجدة والجود والعدل والفهم) وأضدادها من الرَّذائل، وكيفَ تُصادق وتنصح وتُداوي، فالعتابُ للصَّديقِ كالسَّبكِ للسَّبيكة،

ومنْ ورَّى في نُصحِهِ كأنَّهُ لغيرِ المَنصوحِ بذمِّ القبيحِ أو مدحِ عكسِه، فقد أبلغَ وأنجعَ فيه (أُسلوب ما بال أقوام يفعلون...؟).

3. (المُغالطات المنطقية) لـــ/ عادل مصطفى:

دراسة المُغالطات لا تقل أهمية عن القواعد؛ لعلاقتها بكشفِ القُصورِ في الحُجَّةِ الجَّدلية وتنمية التَّفكير النَّقدي ودقّة اللغة في التَّوصيل والإقناع، ويُناقش الكِتاب (30) مُغالطة منطقية منْ أشهرها المُصادرة على المَطلوب، والتَّعميم المُتَسَرِّع والاحتكام إلى (السلطة/القوة/الشفقة/النتائج) ... إلخ، ومنَ التي يستعملها العرَّافون السبب الزَّائف الذي يعتمد على أخذ ما ليس علةً بعلَّة، كقولك: إنَّ الحُمَّى تؤدِّي إلى الطفحِ الجلدي، بينما من الممكن أنْ يكونَ فيروس الحصبة وراء كلٍّ من الحُمَّى والطفح الجلدي، ومغالطة الالتباس لاسيما المبنيّ، ومن التي تُستعملُ في الإعلانات الألفاظ المشحونة، وإثبات التَّالي (كقولك: إذا كنت فتىً رياضياً قويَّ الشخصية، فسوفَ ترغب في شراء سيارة BMW ، وقد رغبتَ في شرائها، وإذن فأنت فتىً رياضيٌّ قويُّ الشخصية!)، ونجد البروكرستية عند الباحثين .. إلخ. معَ ملاحظة أنَّ هناك مواضع يكون فيها ما نعتبره مُغالطة ليسَ كذلك، مثل (الدور الصحيح والاحتكام إلى السلطة العادلة أو إلى النتائج في حالة تساوي حجتين، أو إلى الدليل السَّلبي في البحث العلمي) ...إلخ.

4. (الدِّماغ وكيف يُطوِّرُ بُنيَتهُ وأدَاءَه) لـــــ/ نورمان دويدج، وترجمة: رفيف غدار "مركز البابطين للترجمة":

الدِّماغُ لدِن وبخاصَّةٍ في الفترة الحرجة، وأهم النقاط المستفادة تطبيقياً: 1)عمل برامج مثل Fast Forword لتحسين التَّفكير واللغة في حالات العجز التَّعلُّمي حيثُ أنَّ التَّجربة تُغيِّرُ الدِّماغ 2) الحفاظ على فاعلية مخ الأطفال بالإبعاد عن الضَّجة البيضاء 3) تحسين الحالة النَّفسية للتَّقليل منْ إفراز الهرمونات السَّكريَّة المُضعفة للحُصين، مع تعلَّم لغة جديدة في الكِبر لتحسين الذَّاكرة 4) علاج الوسواس القسري بتجاهل مُحتوى الوسواس "مبدأ استعمله أو اخسره"، والانشغال بمحتوى جديد ممتع يُعزِّز إنشاء اتصالات عصبونية جديدة "النواة

المُذَنَّبة وقلب الصَّفحة" 5) تدريب العقل عل التخيُّل قبل ممارسة المهارة يُحسِّن الأداء 6) البيئةُ المُغناة والتعلُّم المُستمر للجديد يدعم اللدونة، ويقي منَ الزَّهايمر والخَرف ... إلخ.

5. (كيفَ تصنع طفلاً مُتميّزاً؟) لـــــ/ د. ياسر نصر:

لنبني طفلاً "إيجابياً/قارئاً/مُتفوقاً/ مُبدعاً/قائداً/ عبقريّاً"، فنحنُ نبني أُمَّةً مُتميّزة تبدأُ منْ أُسرةٍ ومدرسة يصنعان نفسيةً سليمةً للطفل؛ إذ يُنحيّان الرسائل السّلبية، ويزرعان التَّفكير الإيجابي، والاهتمامات الصحيّة، والمهارات في ضوء العلاقات والقدرات المُستمرة في بيئةٍ تحرصُ فيها الأُم على ربطِ طفلها بالكتاب منذُ نعومةِ أظافره، وتوفّرُ ووالدهُ حوافز النَّجاح وشرارة اندلاع الطَّاقات، وتعمل المدرسة على إشراكه في مشاريع مثمرة تحت اسمٍ وشعارٍ وهدف، ولكي يكون طفلنا مُبدعاً فلابد منْ مشاركته أفكاره وألعابه – والتي يُساهم الوالدان في اختيارِها حسب سنِّه – وإعطائه الفُرصةَ ليُعطِي حلّاً مُنفرداً؛ لتوليد الإبداع عنده، ولقول الـــ د. حمزة: "يجب ترك الحُريَّة للطفل للهوِ وتدمير اللُّعب" ، أمَّا عن القيادة فيُكلَّف الطفل ببعضِ المسؤوليات، ولابد منْ تنمية الذَّكاء العاطفي، وبرمجةِ إدارة المواقف الحياتية، وتطبيق أفكار عملية للتميُّز... إلخ.

6. (مائة من عظماء أُمَّةِ الإسلام غيَّروا مجرى التَّاريخ) لـــــ/ جهاد الترباني:

أبطال الإسلام لا حصر لهم، ولا مكان ولا زمان يحدّهم، تصنعهم أعمالهم المُغيِّرة في مجرى التاريخ، وقد يكون العظيم القادم (؟) أنت، ولكن يلزمك الوعي أولاً لتحصّن نفسك منْ غُزاةِ التاريخ (تشكيك/نشويه/محو)، والإعداد ثانياً؛ فالنصرُ ما هو إلا خطوة صغيرة في طريقِ صناعته، وفي أتون الأزمات تظهر معادن البشر، مثل: (محمد الفاتح)، وقد يعدلُ الفردُ أمَّة (الصِّديق/قُطز)، وامتثال أمر الله (هاجر)، والتَّخلي عن العُنصرية (مالكوم إكس)، والتَّعايش واحترام الاختلاف (الأئمة الأربعة)، والوعي بالتاريخ الحق (الأريسيون/التآمر الصليبي الصفوي/ قصة الفتنة)، وقواعد النَّصر والتِّكتيك العبقري (الكماشة: في الولجة

وملاذ كرد وموهاج) لـــــ: (خالد وألب أرسلان وسليمان القانوني)، والتَّقدم العلمي (الزهراوي وعبد القادر خان .. إلخ)، والدعوة والمُناظرة (علي الجرجاوي/ديدات/عبد الرحمن السميط) ... سبيل نهوض الأمة من جديد.

7. (أُوركسترا رحلة الميلاد) لـــــ/ محمود مصطفى الأحول "رواية رمزية":

وهي روايةٌ لِي، وقد يقرأُ المرءُ لنفسه، وهي رواية تربوية رمزية تُعالج الإصلاح على المستوى الشخصي بشكل ذاتي تأملي ملئ بالحكمة، ويتلخص خطُّ سيرها في أنَّ البطل يبحثُ عنْ قدوة في مُجتمع مُضطرب، وهو إذ ينظر حوله ولا يجد هذه القدوة، يستخرجها منْ نفسه، على هيئة شيخٍ وقور يقومُ بإرشاده ونصحه عبر محطَّاتٍ عديدة، حتى يسترد فطرته، ويعانق الأمل ويثبُت على الطريق، ويعالج الذات ممسكاً بزمام القيادة؛ فليست الحكمة أنْ تنشغل بوميض النجاح وتتحمل الألم بلا حَراك، بل الحكمة أنْ تعيش النجاح كرجلٍ يتحمل الألم وهو يتحرَّك، ولا يغفل عنْ حسابِ نفسه. وفي فصل (حياة القلب) تتغلغل روح الشيخ الحكيم في جسدِ الشاب، ليكتشفَ القارئُ أنَّ الشيخ الحكيم لم يكن إلا الشاب نفسه، وفي باقي الفصول: نكتشف أنَّ هذه القصة يحكيها والدٌ صالحٌ لابنه الذي يترسَّمُ خُطى والده مُفصحاً عمَّا تعلَّمه منْ هذه القصة، وعمَّا تعلمه منْ أبيه قائلاً: "سأفعلُ ما بوسعي حتَّى أكونَ مرآةً لكَ يا أبي". وما يلبث الابنُ أنْ يفقدَ أباه خالطاً دموع الحنين بانطلاقِ إرادةٍ تعيشُ الحياةَ عبرَ فارسٍ كأُمَّة.

8. (جلسات نفسية) لـــــ/ الـــــ د. محمد إبراهيم:

التَّعامل الخاطئ معَ النَّفس هو المُشكلة الحقيقية، ويقدِّم الكاتب دور المُرشد لنا لحصد السكينة النَّفسية، فيقدِّم الحلول فيما يتعلَّق بالتربية السليمة، والتعاطف مع الذات Self-Compassion لعلاج جلد الذات، والعلاج المعرفي السلوكي في تحويل التفكير من (لابد) إلى (من الأفضل أن...)، والتدريب على قول (لا)، ونجد الوزنة المثالية (فوز- فوز)، ومشكلة الكمالية، والابتعاد عن اللطف أُحادي البُعد، ونقد بعض المعتقدات الخاطئة في التنمية البشرية كـ (تساوي الفرص)،

والدعوة لتجربة نمط الحياة البسيطة في مقاومة الاستهلاك النَّهِم، وكيفَ نحافظ على قوة الإرادة وندربها كعضلة بوسائل كثيرةٍ، منها: (تقليل الاختيارات/واستخدام قاعدة If then مثال: إذا ذهبت للمتجر، ورأيتُ السكائر، سوفَ أشتري لباناً مثلاً)، ومعرفة أسباب التسويف وعلاجها، وكيف نواجه مخاوفنا، وفكرة الدوائر المُتداخلة في صناعة التوازن النفسي، وتحديد وقت للـــ Overthinking ، ومواجهة التفكير بالتفكير....إلخ.

9. (الفيزياء بين البساطة والدَّهاء) لـــــــ/ ضحى صالح:

يناقش الكتاب قضايا فيزيائية وكونية مُثيرة، مثل قضية الزمن وتعريفه، ومفهوم الزمكان وعلاقته بالجاذبية عند آينشتاين ونظريتيه في النسبية(الخاصة والعامة)، وموضوع الثقوب السوداء، وأنواعها بين الواقع والافتراض، وعلاقتها بموت النجوم والسَّفر عبر الزَّمن، وآلات هذا السفر، مُناقشاً مُعضلة الجد الشهيرة، وحل العالِم نوفيكوف لها (مبدأ الاتساق الذَّاتي، والأكوان الموازية)، وسحر ميكانيكا الكم، والتطبيق على مستوى الذرَّات، يقولُ نيلز بور: "من لم تصدمه ميكانيكا الكم فهو لم يفهمها بعد"، وأبرز صدماتها للعقل مثل حقيقة (الفراغ ليس فراغاً)، و(كون الذرة تسعة وتسعون وتسع من عشرة % منها فراغ) وطهور الإلكترونات في كل مكان في الوقت نفسه) و(طبيعة الضوء بين الموجات والجسيمات) و(الانتقال الكمومي عنْ بُعد) إلخ، وأشهر تسعة ألغاز فيزيائية لم تُحل حتى الآن من بينها (الطاقة المُظلمة) والتي تُسرّع من توسُّعِ الكون و(المادة المُظلمة) والتي تُبطئُ من هذا التوسع و(ما مصير الكون؟) و(وهل يوجد ترتيب في الفوضى؟!).

10. (سحر القيادة) لـــــ/ الـــــ د. إبراهيم الفقي:

هناك سمات تُشكِّل خطوطاً عريضة للشخصية القيادية، وأسرارٌ صانعة لها، ويُركز الكاتب على هذه الأسرار، وهي(7) أولها (أنت صاحب قرارك)، ومما يجعله فعَّالاً اتخاذك لهُ أسلوب حياة ومتابعته حتى النهاية، وثانيها (شُعلة التَّحفيز)

أهميته وخطواته وأنواعه، وكيف نقومُ بالتَّحفيز سواء لأنفسنا أو لموظفينا، وثالثها (قوة التَّغيير) موانعه وعوامل جعله مقبولاً، وأجمل الأقوال حوله مثل قول أكسيس كاريل: "لا يستطيع الرجل تغيير نفسه بدون ألم، فهو نفسه الرُّخام وهو نفسُهُ النَّحَّات"، وخامسها (التعامل مع الأشخاص صعاب المراس) كالثوري والمتعالي..، وسادسها (حول تحديد الهدف "المبادئ والمراحل") وأهمية ذلك، وكيفَ يشمل النجاح جوانب الحياة كلها ليكونَ حقيقياً مُتَّزناً، وما هو الفرق بين الهدف المُستمر، والهدف المُنتهي؟ وأخيراً (فن إدارة الحياة) حيثُ التعامل مع الوقت حفظاً وإرادةً وتنظيماً ... إلخ.

11. (عبقرية المسيح) لـــ/ عباس محمود العقَّاد:

الكتاب منْ سلسلة العبقريات، وقد قصدَ كاتبه إلى جلاء العبقرية المسيحية سواء في شخص المسيح أو في تعاليمه؛ حيث كشف فضل الرسالة ولزومها في أوانها مُبيناً ظُروف عصر الميلاد (سياسياً واجتماعياً ودينياً وفكرياً) مع ذكر الطوائف اليهودية المُتصارعة من (صدوقيين وفريسيين وآسين وسامرية وغُلاة) وكيف جاءت الدعوة المسيحية بطابعها القومي في البداية لتحريرهم منْ جمود النَّص والشكل وألاعيب الكُهَّان ورياء الفقهاء الذين جعلوا منَ النَّفس البشرية فريسةً يقتنصها العقاب بدلاً منْ هدايتها عبر ضمير يوجه قلبها إلى القِبلة الصحيحة في بساطةٍ إيمانٍ تجرَّدَ منَ التَّحجُّر والحذلقة. وكيفَ اتَّخذت بعد ذلك الطابع العالمي كرسالةِ حُبٍّ وضمير ترى الرحمة عملاً لا كنسبةٍ أو حرفة، إنها دعوة الغيرة السَّمحة الرضيّة لصيد المعاني احتاجها العصر واستعد لسماعها، وتوفَّرت لها الأدوات منْ قدرة المُعلِّم الذي قدَّمَ وصاياهُ بالتقرير والأمثلة الحيَّة التي عوَّلَ فيها على (الرمز والحكمة والقياس والتشبيه) ومن إخلاص التلاميذ الذين نشروا دعواه، وقد وضَّح الكاتب بعض المصطلحات مثل: ابن الإنسان، والمسيح ... إلخ، وبيَّنَ في الختام أنَّ العارف الحقيقي لا ينتظر من الدين دنيا لا تُعاب، وأنَّ للضَّمير شوطاً لا ختامَ له.

12. (العادات الذريَّة) لـــــ/ جيمس كلير، وترجمة: محمد فتحي خضر:

النجاح منظومة منَ التحسُّن اللانهائي، فإذا كُنَّا سنواجه صعوبة في تغيير عاداتنا، فالمشكلة ليست بنا، بل في النظام الذي نتبعه، والعمود الفقري لهذا هو نموذج العادات ذِي الأربع خُطوات: (الإشارة والتوق والاستجابة والمكافأة) مُعتمداً على قوانين أربعة هي: (الوضوح والجاذبية والسهولة والإشباع)، فمن استراتيجيات جعل الإشارة واضحة: نيَّات الفعل، وتكديس العادة، وبطاقة تسجيلها، وتصميم البيئة، في مقابل جعلها خفيّة بتجنب الإغراء. أمَّا جعلها جذَّابة فبتجميع المُغريات، والثقافة الدَّاعمة، وصناعة طقسٍ للتحفيز، والربط بمشاعر إيجابية، في مقابل جعلها غير جذَّابة للعادة السيئة، وهكذا في باقي القوانين. ومن الأفكار الرائعة أنَّ العادات تحتاج أنْ تدوم بما يكفي كي تتجاوز مرحلة القدرات الكامنة، وأنَّ التَّحسينات البسيطة تتراكم لتحقق نتائج مُذهلة، وأنَّ الطريقة المُثلى للتغيير هي التي ترتكز على الهوية، وأنَّ جيناتنا لا تُحدِّد مصيرنا، وإنما نطاق فرصنا، وفي النهاية يحضنا على الاستفادة منْ طريقة (الاستكشاف/ الاستثمار)، وقاعدة جولديلوكس النَّاصة على أنَّ ذروة التَّحفيز نجدها في المهام الواقعة على حُدودِ قدراتنا، وقد نصحَ بالحذر منَ العادات الحسنة في سلبياتها، وأوصى بمُغالبة الذَّات لصناعة الفارِق.

13. (كفاحي) لـــــــ/ أدولف هتلر، وترجمة: لويس الحاج:

الكتاب سيرة ذاتية ذات بُعدٍ سياسي، دوَّنَ كاتبها جزءاً كبيراً منها أثناء فترة سجنه بـــ (لاندسبرج) عام 1924م، بعد الانقلاب الفاشل للحزبِ النَّازي. مُبتدأً بالحديث عنْ طفولته في برونو على الحدود الفاصلة بين ألمانيا والنمسا التي حلُمَ بعودتها إلى حضنِ الوطنِ الألماني الأكبر، وانتقاله إلى فيينا(بابل الشعوب) حيثُ عرفَ هناك اليهود على حقيقتهم، ومن بدأت حربه على الشيوعية(كعقيد ماركسية ترفض فكرة الصفوة، وتتنكَّر لتفوق العِرق الآري الألماني) واليهود الذين اصطنعوها، وقد رأى أنَّ عافية الشَّعب الألماني ستعودُ إليهِ بإبادتهم؛ فعقيدتهم

مُستوحاةٌ من الأنانية والحقد، يمارسون الديمقراطية ظاهراً والشيوعية في الخفاء مُتصنِّعين الانقسام بادِّعاء بعضهم معاداة الصهيونية، وهم الخنجر الذي طعنهم في الظهر، وتسبب في هزيمتهم في نهاية الحرب العالمية الأولى، وما ترتب على ذلك منْ معاهدة فرساي التي فُرضت على ألمانيا. وتحدَّث عن نظريته في الدولة، وأسباب إخفاقات الأحزاب، وعوامل نجاح الحزب من (تعصب/ودعاية محترفة)، وكيفَ وصلَ إلى رئاسة الحزب، حتى أصبحَ مُستشاراً للرايخ الثالث، وكيفَ عالجَ مشاكلاً مثل البغاء والبطالة، مُشدداً على دور التضحية في توفير أبطالٍ للقضية.

14. (الذَّاكرة الفائقة) لـــــــ/ غريغور شتاوب، وتعريب: م. أحمد غازي أنيس:

كيفَ تُصبح لدينا ذاكرة مُذهلة، من خلال طرقٍ عمليةٍ، تجمع بين الفاعلية القُصوى، والسهولة ومتعة التعلم؟ هذا هو السؤال الذي يُجيبُ عنهُ الكاتب عبر تقنياتٍ تعتمدُ على اللوائح الكثيرة كـــ (لائحة الشجرة ولائحة الجسد) مثل حفظنا المؤقت لقائمة المُشتريات أو الدَّائم لجدول الأبراج، وترتيب الكواكب، وهناك (اللائحة المئوية) لحفظِ الأرقام ذات الخانات الطويلة، وتقنية (تحويل التعبيرات المجردة لصورٍ ورموز أو مقاطع في تصويرٍ محكي) مثل كلمة: (بوركينافاسو) وهناك (لائحة المعلومات المجردة) في التَّجهيز لكلمةٍ، وحفظ رؤوس الأقلام، وحملها على لائحة الجسد، وتقنية (استخدام الرواية) في حفظ الأسماء وأقطار العالم، وعواصم البلاد والكواكب وتوابعها، والأرقام طويلة الخانات (صورة مقابلة لكلِّ عددٍ مُزدوج)، وتقنية (تحديد الصفة الفارقة للاسم العائلي، والصورة المناسبة للوجه للاسم الأول) في التعرف على الأشخاص بالاسم والوجه، وتقنية (التكرار) التي تتخلل كل هذا (التلقِّي/ثمَّ المراجعة بعد عشرين دقيقة/ثم بعد 24 ساعة/ثم خمس إعادات موزَّعة على مدار أكثر من ثلاثة أيام)، والتمرين يصنع الخبرة كما يقولون.

15. (هكذا ظهرَ جيل صلاح الدين، وهكذَا عادت القُدس) لـــــ/ الــ د. ماجد عرسان الكيلاني:

يُعالج الكتاب حركات التَّجديد والإصلاح السَّابقة على ظهور حركة الجهاد العسكري التي قادها آل زنكي، ثم صلاح الدين، كخاماتٍ منْ جيلٍ جديد مرَّ بعملية تغييرٍ انتهت بدوران الأشخاص والأشياء في فلكِ الأفكار الصَّائبة (الرسالة) مركزاً على دور المدارس الإصلاحية، وعلى رأسها مدرسة أبي حامدٍ الغزالي، ونهجه في الانسحاب والعودة؛ حيثُ شخَّصَ أمراضَ المجتمع، وحدَّدَ ميادين الإصلاح بمنهجٍ جديد في التربية مُتجاوزاً حدودَ الصراعات المذهبية، مُطهِّراً العقيدة منْ براثنِ الفلاسفةِ، والفكرِ الباطني، ثمَّ المدرسة القادرية التي أسسها عبد القادر الجيلاني، وسارت على نهج الغزالي في الإصلاحِ والتربية الرُّوحية المُنَظَّمة في تخريجِ القيادات، والتنسيق مع المدارس الأخرى، كالمدرسة العدوية التي لعبت دوراً كبيراً في الجيش الصلاحي. ونعرف من الكتاب دور المرأة، وخصائص المُجتمع القوي، مُبيناً في الأخير قوانين تاريخية لصناعة النهوض، ومنْ أهمها: قيام الإصلاح على التدرُّج والتخصص، وتوزيع الأدوار، والانتقال من الغياب إلى الحس الاجتماعي، ومن الحس إلى الوعي، ومن الوعي إلى التَّطبيق، ومراعاة قوانين الأمن الجغرافي، وبداية النهوض منَ المعرفة قبل غيرها من العناصر.

والآن جاء دورك يا عزيزي في إعطاء تلخيصاتك التي تعكسُ بصمتك في تكثيف الجواهر:

16. .....
.....
.....
.....
.....
.....

.....
.....
.....
17. .....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
18. .....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

وإتماماً للفائدة، فقد اجتهدتُ في انتخاب وترشيح بعض الكتب منْ أجلك، ومن أجل أُمِّتي، ولم أركز فيها على كتب الأطفال، لأنني ذكرت أمثلةً لها في فصل (القراءة والأطفال)، فيمكنك الرجوع إليه لهذا الغرض، وأسألُ الله أنْ يتقبَّلها منِّي قبولاً حسناً، وينفعكم بها:

❊❊❊❊

كتبٌ للقراءة

- تفسير التَّحرير والتنوير (30 جزءاً) لـــــــــــــ/ محمد الطاهر بن عاشور
- قصص الأنبياء لـــــــــــ/ ابن كثير
- النحو التطبيقي لـــــــ/ خالد عبد العزيز
- لأنَّك الله (رحلة إلى السماء السَّابعة) لـــــ/ علي بن جابر الفيفي
- غداً أجمل لـــــــ/ عبد الله المغلوث
- مدرسة محمد ﷺ لـــــــــ/ جهاد الترباني
- أطلس القرآن (أماكن- أقوام – أعلام) لـــــ/ شوقي أبو خليل
- المرأة والقرآن لـــــــ/ ماجدة غضبان وماجد الغرباوي
- تلاوتي (أماكنها وتطبيقاتها) لـــ/ الـــــــ د. أحمد محمد العليمي
- قواعد التدبُّر الأمثل لـــــــ/ عبد الرحمن حبنكة الميداني
- عبقرية الإمام علي لـــــــــ/ عباس محمود العقاد
- بلوغ بلا خجل لـــــ/ الـــ د. أكرم رضا
- أعظم سجين في التاريخ لـــــ/ عائض القرني
- الإبداع والتفكير الابتكاري لـــــ/ الـــ د. علي الحمادي
- أبناؤنا والتربية الجنسية لـــــــ/ الـــ د. أكرم مصباح عثمان
- الرقائق لـــــــ/ محمد أحمد الرَّاشد
- أثر النَّبي (قصص قصيرة منْ وحي السيرة) لـــــــــ/ عمر طاهر
- فقه السنة لـــــــ/ سيد سابق
- فقه السيرة لـــــــــ/ محمد الغزالي
- سلسلة أضواء في سيرة خاتم الأنبياء (الكتاب الأول: السيرة النبوية "مفهومها – أهمية دراستها – مصادرها" – الكتاب الثاني: "التخطيط

المُتكامل لتدريس السيرة النبوية" – الكتاب الثالث: "طرائق تعليم السيرة النبوية"

لـــــ/ الـ أ.د: عيد عبد الغني الديب صبيح

- الإسلام بين جهلِ أبنائه وعجزِ علمائه لـــــــــ/ الـ د. عبد القادر عودة
- أصول الفقه (أصول ومبادئ) لـــــــــ/ الـــــ د. أحمد محمد العليمي
- الوجيز في أصول الفقه لـــــــ/ الـــــ د. عمر سليمان الأشقر
- مائة سؤال عن الإسلام لـــــــــ/ محمد الغزالي
- حياة محمد لـــــــــ/ محمد حسين هيكل
- أيها الولد لـــــــــ/ أبو حامد الغزالي
- القواعد الفقهية لـــ / علي أحمد النَّدوي
- القرآن وعلم النفس لـــــــ/ الـــــ د. محمد عثمان نجاتي
- هموم المرأة المسلمة لـــــــ/ حامد افنيخر
- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لـــــــــ/ أبو الحسن علي الحسني الندوي.
- الرسالة لـــــــــ/ محمد بن إدريس الشافعي
- فقه الأولويات لـــــــــــ/ محمد الوكيلي
- الإسلام والمرأة المُعاصرة لـــــــــ/ البهي الخولي
- الإسلام حضارة الغد لـــــــــ/ الـــــ د. يوسف القرضاوي
- الإمام الجُنيد لـــــــــــ/ جمال رجب سيدبي
- عبد الله بن المبارك لـــــــ/ محمد عثمان جلال
- أثر الأدلة المُختلف فيها في الفقه الإسلامي لـــــــــــ/ الـــــ د. مصطفى البغا
- (50) شمعة لإضاءة دروبكم لـــــــــــ/ عبد الكريم بكَّار
- حياة الصحابة لـــــــــ/ محمد الكاندهلوي
- مفاتيح للتعامل مع القرآن لـــــــــــ/ الـــ د. صلاح عبد الفتَّاح الخالدي
- حوار مع صديقي المُلحد لـــــــــــ/ الـــ د. مصطفى محمود

- الخلفاء الراشدون (حياة ماجدة وأعمال خالدة) لـــــــــــ/ عبد الستار الشيخ
- إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء لـــــــــ/ الخضري
- سعيد بن المُسيّب لـــــ/ الـــ د. وهبة الزحيلي
- رجال حول الرسول لـــــــــ/ خالد محمد خالد
- الأئمة الأربعة لـــــــــــ/ عمارة محمد عمارة
- جامع العلوم والحكم لـــــــــ/ ابن رجب الحنبلي
- تجديد التفكير الديني في الإسلام لـــــــــ/ محمد إقبال
- شبهات حول الإسلام لـــــ/ محمد قطب
- الحداثة في الإسلام لـــــــــ/ الـــ د. عوض القرني
- المناهج التربوية المُعاصرة لـــــــــ/ الـــ د. مروان سليم أبو حويج
- أنقذوا الطفل في داخلكم لـــــــــــ/ تشارلز ويتفيلد
- علاج الأطفال بالقصَّة لـــــ/ مارجوت صاندرلاند
- (100) فيلم تربوي لـــــــ/ فريق البحث بدار نبراس
- العوائق لـــــــــ/ محمد أحمد راشد
- طرائق النَّبي في تعليم أصحابه لـــــــــ/ الـــ د. أحمد محمد العليمي
- أدب الدنيا والدين لـــــــــ/ الماوردي
- أهداف التربية الإسلامية لـــــــــ/ الـــ د. ماجد عرسان الكيلاني
- رحلة العلماء في طلب العلم لـــــــــــ/ ماجد البنكاني
- الإنسان يبحث عن المعنى لـــــــــ/ فيكتور فرانكل
- تربية الأولاد في الإسلام (جزءان) لـــــــــ/ عبد الله ناصح علوان
- كيفَ أختار صديقي؟ لـــــــــــ/ الـــ د. محمد فهد الثويني
- مبادئ التَّحليل النَّفسي لـــــــــ/ محمد فؤاد جلال
- علم النفس الشَّرعي لـــــــــ/ ديفيد كانتر
- فن الإقناع لـــــــــ/ هاري ميلز
- العمل مع أصعب النَّاس لـــــــــــ/ موريل سولومون

- دعْ القلق وابدأ الحياة لـــــــــ/ ديل كارنجي
- صفحات منْ صبر العلماء لـــــــــــ/ عبد الفتاح أبو غدة
- العادات السبع للمراهقين الأكثر فاعلية لـــــــــ/ شين كوفي
- أسرار التفوق الدراسي لـــــــــ/ محمد ديماس
- التربية السياسية لـــــــــ/ الـــ د. منير محمد الغضبان
- حاول أنْ تروضني لـــــــــــ/ راي ليفي و (بيل أوهانلون) مع نوريس جود
- قوة التَّركيز للمرأة لـــــــــ/ فران هيويت ولس هيويت
- صناعة النجاح لـــــــــ/ الـــ د. طارق السويدان مع فيصل باشراحيل
- الثقة العاطفية (أبسط الخطوات لإدارة مشاعرك) لـــــ/ جيل لندنفيلد
- لا تحزن لـــــــــــ/ عائض القرني
- المرونة النَّفسية لـــــــ/ بندر آل جلالة
- قوة الكلمة لـــــــــــ/ دورثي ليز، وتعريب: عبد الرحمن توفيق
- مهارات الحياة في البرمجة اللغوية والعصبية لـــــ/ معتز يحيي سنبل
- الانفعالات النَّفسية في القرآن الكريم لـــــــــ/ سناء تيسير السعداوي
- الإنسان يبحث عن المعنى لـــــــــ/ الـــ د. طلعت منصور
- لغات الحُب الخمس التي يستخدمها الأطفال لـــــ/ جاري تشابمان
- لغات الحُب الخمس (كيف تعبِّر عن حبك العميق لشريك حياتك) لـــــ: جاري تشابمان
- ما لم يُخبرني به أبي عن الحياة لـــــــــ/ كريم الشاذلي
- كيفَ تُصبح إنساناً لـــــــــــ/ شريف عرفة
- الرقص مع الحياة لـــــــــ/ مهدي الموسوي
- فن إدارة الوقت لـــــــــ/ محمد ديماس
- الذكاء العاطفي لـــــ/ دانيال جُولمان
- الذكاء العاطفي في التربية لـــــــــ/ الـــ د. إيناس فوزي
- 1001 طريقة لتطوير (مؤسستك – فريقك – نفسك) لـــــــــ/ ديفيد راي

- قوة العادات لـــــــــ/ تشارلز دويج
- الرجال من المريخ والنساء من الزهرة لـــــ/ جون جراي
- افعل شيئاً مختلفاً لـــــــ/ عبد الله علي
- مُحاطٌ بالحمقى (الأنماط الأربعة للسلوك البشري) لـــــ/ توماس اريكسون
- الشخصية الساحرة لـــــــ/ كريم الشَّاذلي
- فن المقال الصحفي لـــــــــ/ الـــ د. إسماعيل إبراهيم
- حياةُ الأذكياء لـــــــ/ صفاء حسين العجماوي
- كيف تكون قائداً مبدعاً لـــــــ/ م. علي غانم الطويل
- أسوأ عدو أفضل مُعلِّم لـــــــــ/ ديدري كومبس
- أفكار كبيرة لتنمية مشروعك الصَّغير لـــــــ/ فرانسس ماكجوكين)
- ثقافة العمل التطوعي لـــــــ/ عبد الله أحمد اليوسف
- دليل الطالب العبقري لـــــ/ أمين محمود صبري
- تعليم منْ أجل التَّفكير لـــــ/ أرثر كوستا
- القدرة الذهنية الخارقة لـــــــ/ جين ماري ستاين
- الإجابات الرائعة لأسئلة مقابلات التَّوظيف الصعبة لـ/ مارتن جون بيت
- ادرس بذكاء وليس بجهد لـــــــــ/ كيفن بول
- فرسان الحياة لـــــــــ/ أشرف شاهين
- صانعوا السوق لـــــــــ/ دانيال سبولير
- مائة طريقة لتحفيز نفسك لـــــــــ/ ستيف تشاندلر
- مهارات التأثير لـــــ/ طارق سويدان
- كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في النَّاس؟ لـــــــ/ ديل كارينجي
- الرياضة والغذاء قبل الطبيب والدواء لـــــــ/ نديم المصري
- الطب محراب الإيمان (جزءان) لـــــــــ/ الـــ د. خالص جلبي
- الذاكرة السريعة لـــــــ/ الـــ د. نجيب الرفاعي
- الذاكرة الخارقة لـــــــ/ محمود شعبان

- الذاكرة وفنون الحفظ لـــــــــ/ خالد سلطان
- الدليل الكامل للتحكم في الذاكرة لـــــ/ هاري لورين
- مهارات تنشيط الذَّاكرة لـــــــــ/ مارلين بيرلي
- كيف تصبح صحفياً موهوباً؟ لـــــــــــ/ محمد الله النذير
- المرجع الأكيد في لغة الجسد لـــــ/ آلان باربارا بييز
- الفراسة لـــــ/ الشافعي
- الفراسة عند العرب لـــــــــ/ فخر الدين الرَّازي
- كُتب الـــ د. إبراهيم الفقي (أيقظ قدراتك واصنع مستقبلك/قوة الفكر/قوة التحكم في الذات/سيطر على حياتك/إدارة الوقت/احترف فن الفراسة/سحر الكلمة/التَّنويم بالإيحاء/فن اتخاذ القرار/..... إلخ)
- أعجب الرحلات في التَّاريخ لـــــ/ أنيس منصور
- الاندلس تاريخ الشتات لـــــــــ/ محمد الرزاز
- تاريخ العالم العربي المُعاصر لـــــــــ/ الـــ د. إسماعيل أحمد ياغي
- الحرب والسلم لـــــ/ ليو تولستوي
- الإسلام والسياسة لـــــــــــ/ الـــــ د. محمد عمارة
- جمال الدين الأفغاني (المُفترى عليه) لـــــــــ/ محمد عمارة
- فن الحرب لـــــــــ / سون أتزو
- أيام لها تاريخ لـــــ/ أحمد بهاء الدين
- ويبقى التاريخ مفتوحاً لـــــــــ/ تُركي الحمد
- مُذكرات السلطان عبد الحميد الثاني لـــــــ/ علي محمد الصلابي
- رجال مرج دابق لـــــــ/ صلاح عيسى
- قصة التتار من البداية إلى عين جالوت لـــــ/ الـ د. راغب السرجاني
- الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي لـــــــــ/ عبد الرحمن الرافعي
- النازيون العرب لـــــــــ/ رامي رأفت
- هيمنة الإعلام لـــــــــــ/ نعوم تشومسكي
- اليهود واليهودية والصهيونية لـــــــ/ عبد الوهاب المسيري

- الحشَّاشون لـــــــ/ برنارد لويس
- رقعة الشطرنج الكبرى لـــــــ/ زغنيو بريجنسكي
- تاريخ أكثر إيجازاً للزمن لـــــــــ/ ستيفن هوكينج
- مصر من نافذة التاريخ لـــــ/ جمال بدوي
- ماذا حدث للمصريين لـــــــ/ جلال أمين
- التاريخ السري لحرب العراق لـــــــ/ يوسف بودانسكي
- الدولة العثمانية (عوامل النهوض والسقوط) لـــ/ الـــ د. علي محمد الصلابي
- وجع في قلب إسرائيل لـــــــ/ أنيس منصور
- صلاح الدين الأيوبي لـــــــ/ الـــ د. محمد رجب البيومي
- موجز تاريخ كل شيء تقريباً لـــــــ/ بيل برايسون
- المسكوت عنه في التاريخ لـــ/ وسيم السيسي
- الإرهاب والعنف في الفكر الصهيوني لـــــــ/ الـــ د. إسماعيل أحمد ياغي
- اليد الخفية لـــــــ/ عبد الوهاب المسيري
- من روائع حضارتنا لـــــــ/ الـــ د. مصطفى السباعي
- مُختصر دراسة التَّاريخ لـــــــ/ توينبي
- 6 أكتوبر في الاستراتيجية العالمية لـــــــ/ جمال حمدان
- استراتيجية الاستعمار والتحرير لـــ/ جمال حمدان
- عجائب الدنيا السبع، وغرائب القارات الست لـــــــ/ رحاب كمال
- شخصية مصر (4أجزاء) لـــــــــ/ جمال حمدان
- الكشوف الجغرافية لـــــــ/ محمود محمد شاكر
- جغرافية العالم الإسلامي لـــــــ/ محمد خميس الزوكة
- الفكر الجغرافي لـــ الـــ د. محمود أبو العلا
- الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان لـــــ/ الـــ د. محمد محمود محمدين

- علم الخرائط لـــ/ الـــ د. محمد صبحي عبد الحكيم
- المضمون البشري في الجغرافيا لـــ/ الـــ د. يسري الجوهري
- علم المناخ لـــ/ الـــ أ.د. نعمان شحادة
- التغير المُناخي لـــ/ إيف سياما، ترجمة: زينب مُنعم
- البيئة ومشكلاتها لـــ/ رشيد الحمد ومحمد محمود صباريني
- جابر بن حيَّان لـــ/ زكي نجيب محمود
- روعة الكيمياء لـــ/ مونتي فيتروب كاثي كوب
- أسرار الكيمياء لـــ/ و. جراهام ريتشاردز
- المادة في حياتنا لـــ/ مارك ميوداونك
- قوس قزح الحي الماء لـــ/ مان- وان هو
- خلف حافة الكون لـــ/ محمود علَّام
- عصر العلم لـــ/ الـــ د. أحمد زويل
- العلم في منظوره الجديد لـــ/ روبرت م. أغروس، وجورج ن. ستانسيو
- أسرار الجينات لـــ/ عبد الباسط الجمل
- تكنولوجيا النانو لـــ/ الـــ د. محمد شريف الإسكندراني
- آينشتاين والنسبية لـــ/ الـــ د. مصطفى محمود
- أثر العرب في الحضارة الأوربية لـــ/ عباس محمود العقَّاد
- فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية لـــ/ عز الدين فراج
- الميكروبات والحرب البيولوجية لـــ/ الـــ أ. د. مصطفى عاشور
- الذكاء الاصطناعي (واقعه ومستقبله) لـــ/ آلان يونيه
- علم المعلومات والاتصالات لـــ/ الـــ د. كمال عرفات نبهان
- الحرب الإلكترونية لـــ/ الـــ د. فيصل محمد عبد الغفار
- في الفلسفة الإسلامية لـــ/ الـــ د. محمد كمال جعفر
- تبسيط الفلسفة لـــ/ رجب بو دبوس
- أُقدِّم لك الفلسفة لـــ/ ديف رونسبون
- مدخل إلى الفلسفة لـــ/ الـــ د. إبراهيم يوسف النجَّار

- مبادئ الفلسفة لـــــ/ أ. س. رابوبرت
- فلاسفة في حسائي (رواية) لـــــ/ الـــ د. أحمد خالد توفيق
- عالم صوفيا (رواية في تاريخ الفلسفة) لـــ/ يوستن غاردر
- أجمل قصة في تاريخ الفلسفة لـــــــ/ لوك فيري
- تاريخ الفلسفة اليونانية لـــ/ يوسف كرم
- تاريخ الفلسفة في القرن العشرين لـــــ/ كريستيان دولاكومبان
- فلسفة العلم في القرن العشرين لـــ/ دونالد جيليز
- جنون الفلاسفة لـــــ/ تايجل رودجرز
- حكمة الغرب لـــــ/ برتراند راسل
- عزاءات الفلسفة (كيفَ تساعدنا الفلسفة في الحياة) لـــ/ آلان دو بوتون
- لعبة الأمم لـــــ/ مايلز كوبلاند
- رحلتي من الشك إلى الإيمان لـــــ/ الـــ د. مصطفى محمود
- عصر القرود لـــــ/ الـــ د. مصطفى محمود
- الروح والجسد لـــــ/ الـــ د. مصطفى محمود
- لغز الحياة لـــــ/ الـــ د. مصطفى محمود
- رجل تحت الصفر لـــــ/ الـــ د. مصطفى محمود
- القوى الخفية لـــــ/ أنيس منصور
- تكلَّم حتى أراك لـــــ/ أنيس منصور
- سؤال الشر (مناقشة بين الإيمان والإلحاد) لـــــ/ الـــ د. هشام عزمي
- من الصفر لـــــــــ/ ياسر ممدوح
- مُغالطات لـــــــ/ محمد قطب
- الموجز في المنطق لـــــ/ صادق الشيرازي
- هجوم على العقل لـــــــ/ آل جور
- مالكوم إكس لـــــــ/ أليكس هالي
- رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمار لـــــــ/ عبد الوهاب المسيري

- أنا ملالا لـــــــــ/ ملالا يوسفزاي
- ماذا علمتني الحياة لـــــ/ الـــ د. جلال أمين
- كنتُ رئيساً لمصر لـــــــــ/ محمد نجيب
- (البحث عن الذات) لـــــــــ/ محمد أنور السَّادات
- مذكرات حرب أكتوبر لـــــــــ/ سعد الدين الشَّاذلي
- الأيام لـــــــــ/ طه حسين
- رأيتُ رام الله لـــــ/ مريد البرغوثي
- مذكرات الحاج محمد أمين الحسيني لـــــــــ/ عبد الكريم العمر
- قصَّتي لـــــــــ/ مارلين مونرو
- الجلطة التي أنارت بصيرتي لـــــــــ/ الـــ د. جيل بولتي
- من التاريخ السري لنعمان عبد الحافظ لـــــــــ/ محمد مستجاب
- (7) سنوات في بلاد المصريين لـــــــــ/ موشيه ساسون
- اعترافات لـــــــــ/ جان جاك روسو
- قصة تجاربي مع الحقيقة لـــــــــ/ مهنداس كارا مشاند غاندي
- الفتاة الأخيرة لـــــــــ/ ليلى مراد
- قصة حياتي العجيبة لـــــــــ/ هيلين كيلر
- الأحلام بين العلم والعقيدة لـــــــــ/ علي الوردي
- الطبيعة البشرية لـــــــــ/ علي الوردي
- تاريخ العلم لـــــــــ/ جون غريبين
- قصة العلم لـــــــــ/ ج.ج. كراوثر
- العلم وأزمنته لـــــــــ/ نخبة من العلماء
- مُختصر تاريخ العلم لـــــــــ/ وليام بينوم
- مختصر تاريخ العلم لـــــــــ/ إي إتش غومبريتش
- الرياح وأشجار الصفصاف لـــــــــ/ كينيث جرام
- لماذا ننام لـــــــــ/ ماثيو ووكر
- فن الحياة البسيطة لـــــــــ/ شونميو ماسونو

- السعي وراء السعادة لـــــــــ/ كريس غاردنر
- اقرأ أي شيء لـــــــــ/ أنيس منصور
- الذين عادوا إلى السماء لـــــــــ/ أنيس منصور
- أرواح وأشباح لـــــــــ/ أنيس منصور
- الآثار المصرية في الأدب العربي لـــــــــ/ الـــ د. أحمد أحمد بدوي
- سر الحياة لـــــــــ/ لال بيهاري
- لو كنتُ طيراً لـــــــــ/ سلمان العودة
- يوميات ألماني مسلم لـــــــــ/ مراد هوفمان
- قصة العادات والتقاليد وأصل الأشياء لـــــــــ/ تشارلز باناتي
- بحوث في تاريخ العلوم عند العرب لـــــــ/ يمنى طريف الخولي
- غرائب وعجائب شعوب العالم لـــــــ/ الـــ د. أحمد حسين الرفاعي
- ما لا تعرفه عنْ جوجل لـــــ/ وليد محمد
- مصر والقرن الواحد والعشرون لـــــــ/ محمد حسين هيكل
- خماسية التَّدمير لـــــــ/ سليمان شفقي
- هوس العبقرية (العالم الداخلي لماري كوري) لـــــــ/ باربارا جولد سميث
- صناعة المستقبل لـــــ/ خليل صقر
- قواعد اللغة العربية (النحو والصرف) لـــــ/ الـــ د. عماد علي جمعة
- تجديد النَّحو لـــــــ/ شوقي ضيف
- أسرار البلاغة لـــــــ/ عبد القاهر الجرجاني
- أهدى سبيل إلى علمي الخليل (العروض والقافية) لـــــ/ محمود مصطفى
- أوزان الشعر لـــــــ/ مصطفى حركات
- القرآن والقصة الحديثة لـــــــــ/ محمد كامل حسين
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب لـــــــ/ الـــ د. إحسان عباس
- شرح المعلقات السبع لـــــــــ/ الزوزني
- التيارات المعاصرة في النقد الأدبي لـــــ/ الـــ د. بدوي طبانة

- فقه اللغة وأسرار العربية لـــــــ/ أبو منصور عبد الملك الثعالبي
- قصص من التَّاريخ لـــــــ/ علي الطنطاوي
- الشعر الجاهلي (خصائصه وفنونه) لـــــــ/ الـــ د. يحيي الجبوري
- عائد إلى حيفا (رواية) لـــــ/ غسَّان كنفاني
- عزازيل (رواية) لـــــــ/ يوسف زيدان
- حوار بين طفلٍ ساذج وقط مُثقَّف (رواية) لـــ/ أحمد بهجت
- حكم لقمان (أدب الحكمة) لـــــــ/ محمد الريشهري
- ديوان الخنساء/ باعتناء وشرح: حمدو طيماس
- شآبيب (رواية) لـــــــ/ أحمد خالد توفيق
- عهد دميانة لـــ/ أسامة عبد الرؤوف الشاذلي
- أدبيات الأقصى والدم الفلسطيني لـــــــ/ الـــ د. جابر قميحة
- ديوان (أبو القاسم الشَّابي) / قدَّمَ له وشرحه: أحمد حسن بسَج
- هملت (رواية) لـــــ/ وليم شكسبير
- خُلق ولم يولد (رواية) لـــــــــ/ محمد وجيه
- صاحب الظل الطويل لـــــــ/ جين ويبستر
- سيرة شجاع (رواية) لـــــــــ/ علي أحمد باكثير
- البؤساء (رواية) لـــــــ/ فيكتور هوجو
- قواعد العشق الأربعون (عن جلال الدين الرومي) لـــــ/ إليف شافاك
- الجريمة والعقاب(رواية) لـــــــ/ فيدور دوستويفسكي
- من أساطير الصحراء (رواية) لـــــــ/ إبراهيم الكوني
- مائة عام من العزلة(رواية) لـــــــ/ جابرييل جارسيا ماركيز
- اللغز وراء السطور(مقالات) لـــــ/ أحمد خالد توفيق
- آخر أمراض الكوكب (رواية) لـــــ/ حميد يونس
- آخر أيام الأرض (رواية) لـــــــــ/ خالد المهدي
- أعلام الشعر العربي/ واعتنى به وشرحه: عبد الرحمن المصطاوي
- مثل إيكاروس (رواية) لـــــ/ أحمد خالد توفيق

- آنا كارنينا (رواية) لـــ/ تولستوي
- حول العالم في 200 يوم (أدب الرحلات) لـــــــ/ أنيس منصور
- إمام الحكمة (سيرة لقمان الحكيم) لـــــــ/ عبد الباقي يوسف
- ألف ليلة وليلة / التزام سعيد علي الخصوصي
- القراءة الذكية لـــــــــ/ الـــ د. ساجد العبدلي
- فن القراءة لـــــــــ/ الـــ أ.د. عبد اللطيف الصوفي
- تجاربهم في القراءة لـــــــــ/ مجموعة من الباحثين والأكاديميين والمفكرين
- كيفَ أقرأ لـــــــــ/ الـــ د. طارق السويدان والـــــ أ. فيصل عمر باشراحيل
- القراءة السريعة بأسلوب النجمة لـــــــــ/ أشرف غريب
- القراءة التصويرية لـــــــــ/ المستشار: جمال الملا
- استخدام خرائط العقل في العمل لـــــــــ/ توني بوزان
- القراءة السريعة لـــــــــ/ توني بوزان
- العلاج بالقراءة (كيف نصنع مُجتمعاً قارئاً؟) لـــــــــ/ حسن آل حمادة
- .....
- .....
- .....

والآن، وبعد اطلاعك على القائمة السابقة أنتَ مشروعٌ لقارئٍ عظيم، وتستطيع أنْ تبدأ بما شئت منها لتكوين نواتك الخاصَّة، أو حتى تحذف منها أو تضيف إليها وفق رؤيتك المناسبة، فقط انطلاقك في آفاق العلم والمعرفة والثقافة هو حلمنا الذي نريد أنْ يتحوَّل إلى حقيقة.

إنْ لم ترجع أُمَّةُ (اقرأ) إلى قراءتها، فسوفَ تظلُّ في الذَّيل مسافةً أُخرى من الزمن، فإنْ كنتَ تُريد أنْ تُعجِّل بإحيائها فكنْ قارئاً.

أمتنا بحاجةٍ إلى ميلاد قارئ، فكن أنت هذا القارئ.

خاتمة

القراءةُ هي: "جمع رحيق كل تعبير لكلِّ موجود عن طريق التسبيح والكتاب:

(الكتاب) الذي هو لغة العلم المُشتركة الصُّغرى لتوليد القانون، و(التَّسبيح) الذي هو لغةُ العلم المشتركة العُظمَى الكاشفة لمكنونِ كلِّ قانون؛ لفرز حكمتك الخاصَّة المنسوجةِ بنولي الفهم والحفظ، وتبليغها تمكيناً لرسالةٍ لها فتحٌ وشأنٌ وسارية"

كانَ هذا هو المفهوم الذي قدَّمته لقرَّائي، والذي كان غرضي منه إحداث ثورة فكرية تُعيد الأُمَّة إلى القرآن والقراءة نظراً وعَمَلاً حقيقةً ملموسةً.

وإنْ كنتُ تحدَّثتُ في سطورٍ كثيرةٍ منْ كتابي هذا بلفظِ (نا)، فأرجو حملكم لها على الغياب عن الذات المنفردة لا الغرور، وإلا فأنا منْ أجهل النَّاسِ، وأقلهم علماً مهما حصَّلتُ منَ المعارفِ والعلوم.

وأشكرُ الله العظيم أولاً، وأطلبُ منه العونَ والقبول، ثمَّ أتوجَّه بالشكرِ إلى صاحبِ كل كتابٍ قرأته، وأفدتُ منه في تسطير وتصنيف هذا العمل.

وأشكرُ الأستاذ الدكتور/ عيد عبد الغني الديب صبيح صاحب السلسلة الرائعة (أضواء في سيرة خاتم الأنبياء والمرسلين، وقد أهداني الكتاب الثالث منها (طرائق تعليم السيرة النبوية) وتكرَّم على ضعيفٍ مثلي وقدَّمَ لكتابي هذا.

كما أشكر دار النَّشر الرائعة التي نشرت لي منْ قبل روايتي أوركسترا رحلة الميلاد/ دار ديوان العرب للنشر والتوزيع، وكل القائمين عليها، وبخاصةٍ الإنسان الخلوق الرائع شعلة التَّحفيز وعاصفة النَّشاط ونسمات التواضع وعاشق اللغة العربية الأديب / محمد وجيه رئيس مجلس إدارة دار ديوان العرب للنشر

والتوزيع وعضو الاتحاد العربي للصحافة والإعلام ولجنة حقوق الإنسان واتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين وغيرها من الاتحادات والروابط، متَّعه الله بالصحةِ والعافية.

وأتوجَّه بالشكر إلى الأستاذ الخلوقِ كنز العلم، وهو في اقتناءِ دقائقِه سبوق، خبير اللغةِ العربية صاحب الذَّوق الرَّفيع والقلب الكبير واللسان الصدوق، السَّيد/أشرف عبد الحكم الأنصاري، الذي لم يتأخَّر عنْ مُراجعة كتابي هذا، وقد نفعني اللهُ بنصائِحه كثيراً، فجزاهُ اللهُ كلَّ خير.

وأصلي وأسلم على سيدنا وسيد الخلق أجمعين محمدٍ بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن والاه إلى يومِ الدين.

وأتوجه برسالةٍ شديدة الخصوصية إلى حضرته:

"السَّلامُ عليك يا رسول الله

ما من مسلمٍ يسلِّم عليك إلا رددتَ عليه السَّلام

أطلبُ منك أيها الرسول الكريم التقي الشكور الرؤوف الرحيم أنْ تدعو الله لأمتك بالرجوعِ إلى رسالتها التي تقود منْ خلالها الوجود، رسالة (اقرأ) أول كلمةٍ نزلت عليك بأبي أنت وأمِّي، يا سيدي ويا حبيبي يا رسول الله.

آمين

محمود مصطفى حسن محمد الأحول،

****

المراجع، والمصادر

1. الـــ د. أحمد محمد سعيد السَّعدي: (الكنز المفقود في حياتنا)
عمل بحثي، نشر إلكتروني/ دار الرواد للنشر.

بريد الباحث: ahmadsdi@yahoo.com

2. أشرف غريب: (القراءة السريعة بأسلوب النجمة)
العبيكان، ط1، 2006م

3. البرتو مانغويل: (فن القراءة) – ترجمة/ عباس المفرجي
دار المدى، ط1، 2014م

4. حسن آل حمادة: (العلاج بالقراءة "كيف نصنع مجتمعاً قارئاً؟")
أطياف للنشر والتوزيع، ط3، 2015م

5. الـــ د. ساجد العبدلي: (القراءة الذكية)
شركة الإبداع الفكري للنشر والتوزيع، الكويت، ط2، 2007م

6. الـــ د. طارق السويدان، والـــ أ. فيصل عمر باشراحيل: (كيف أقرأ؟)
شركة الإبداع الفكري للنشر والتوزيع، الكويت، إصدار أول، 2007م

7. عباس محمود العقاد: (عبقرية المسيح)
دار العُليا للنشر والتوزيع، ط1، 2020م

8. الـــ أ. د. عبد اللطيف الصوفي: (فن القراءة)
دار الفكر. دمشق، مكتبة مؤمن قريش، ط1، 2007م

9. علي محمد الصلابي: (القائد نور الدين محمود زنكي، شخصيته وعصره)
مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 2007م

10. مجلة/ الصين اليوم، يونيو 2023م

11. مجموعة من الباحثين والأكاديميين والمفكرين: (تجاربهم في القراءة)
مكتبة عبد الملك عبد العزيز العامة. الرياض، ط2012م

12. الـــ د. محمد فتحي عبد الهادي: (المعلومات وتكنولوجيا المعلومات على أعتابِ قرنٍ جديد)
مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1، 2000م

13. الـــ د. ياسر نصر: (كيفَ تصنع طفلاً مُتميّزاً؟)
مؤسسة بداية للإنتاج والنشر والتوزيع، ط1، 2011م

14- Wikipedia

❊❊❊❊

محتويات الكتاب

إهداء.....4
مُقدمة بقلم الـ أ.د/ عيد عبد الغني الديب صبيح..... 6
مقدمة المؤلف..... 8
منهج الكتاب.....12
تمهيد.....13
مفهوم القراءة.....18
بُعدُ التَّسبيح.....25
مفتاح نهضة الأُمَّة.....27
البعدُ الثَّاني: لغة الكتاب 41
نموذج تطبيقي للقراءةِ بالمفهومِ الجديد: 54
القراءة والذكاء.....56
القراءة والسرعة.....66
القراءة والحريَّة.....70
القراءة والتواضع.....72

القراءة واللغة.....74
القراءة والرواية.....81
القراءة والأطفال.....87
مُعجزة القراءة.....90
ما نحتاجُ إليه بشدة.....98
كتبٌ قرأتها.....100
كتبٌ للقراءة.....111
خاتمة.....124
المراجع، والمصادر.....126
محتويات الكتاب.....128

معجزة القراءة (تحليل نهضوي)

الكاتب

محمود مصطفى الأحول

الطبعة الأولى
1444 هـ 2024 م
دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
مصر – بورسعيد
جوال: 00201211132879
00201030502390
E-mail: mohamedhamdy217217@gmail.com

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف، ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي، أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه، أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر .